الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر.

التناوب السردي بين شخصيات رواية "وداعا قد لا نلتقي" لـ "أميرة عباد"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر

اعداد الطالبتين:

حدة زواغي
نهال نورين

اشراف الأستاذة :

فتيحة حسين

لجنة المناقشة:

1- أ / فيروز رشام	جامعة البويرة	رئيسا
2- أ / فتيحة حسين	جامعة البويرة	مشرفا ومقررا
3- أ / سهى رومي	جامعة البويرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

شكر وتقدير

كل الشكر والتقدير لجهودك القيمة، أنت رمز العطاء والبذل، دمتي منارة للعلم ومشعلاً ينير دروب الخير.

بارك لك في حياتك ومتعك بالصحة والسعادة في الدنيا والأخرة.

إهداء

أهدي ثمرة نجاحي إلى:

من كان عونا وسندا لي، إلى عظيم فخري "أبي الغالي"

إلى قدوتي في الحياة، إلى من سهلت لي الشدائد بدعائها، إلى "أمي الغالية"

إلى خيرة الأيام وصفوتها، إلى إخوتي: أسامة، سامية، سيليا.

إلى ملاذي الذي شجعني على مواصلة درب العلم، "زوجي"

إلى عائلتي وصديقاتي: إكرام، أمينة، ثيللي

إلى رفيقتي في المشوار "نهال."

إهداء

أهدي تخرجي هذا:

إلى "أبي" ذاك الرجل العظيم الذي أقول له: إنني هنا بفضلك يا أبي.

إلى أمي التي لم تكن أبداً شخصا عاديا، كانت لي نوراً في عتمتي، جاهدت كي أحقق هدفي، فيكفيني فخرا أنني هنا من أجلها.

إلى أخواتي.... من شددّت عضدي بهم فكانوا لي ينابيعا أرتوي منهم.

إلى زوجي الذي كان دوما بجانبي.

إلى عائلتي وصديقاتي اللّواتي قضيت معهنّ أجمل أيامي؛ شكرًا "أمينة وإكرام".

إلى من تحلت بالإخاء وتميزت بالوفاء والعطاء، رفيقتي "حدة".

والحمد الله على ثمرة نجاحي الذي لطالما تمنيته.

نهال.

مقدمة

اتسع نطاق الدراسات الأدبية وتنوعت تخصصاتها ومواضيعها ومناهجها، مما أدى إلى انفتاحها على آفاق جديدة، وظهور مصطلحات متنوعة، وهذا التنوع أجبر الباحثين على تحديد مفاهيمها، وبالتالي تمكينهم من دراستها وكشف أسرارها، ومن بين هذه الاختصاصات التي اهتم بها الدارسون في الحقل الأدبي" حقل الدراسات السردية "، فقد شكلت هذه الدراسات حيزًا هامًا ونقطة تحول في مجال البحث العلمي بهدف الكشف عن خفايا هذا النوع الأدبي المتميز في دراسات الأجناس الأدبية، فالسرد ظاهرة قديمة برزت مع الدراسات الحديثة الغربية وتطورت لتؤرخ لنفسها ولترسخ ثقافة أدبية جديدة ممتدة إلى يومنا هذا وهو كذلك نتاج ثقافة الإنسان، في شكله الشفوي والتعبيري الذي يعبر من خلاله عن آماله وطموحاته، كما أنه يشكل همزة وصل بين المتكلم والمخاطَب.

ومن خلاله ظهرت عدة أجناس أدبية كالرواية التي تعدّ واحدة من أهم أنواع الأدب النثري والأكثر انتشارًا في الساحة الأدبية، لما تتمتع به من مقومات جمالية على مستوى الشكل والمضمون، فجعلتها محطة لأنظار النقاد والباحثين من العرب والغرب، فهي تسمح بتصوير عوالم خيالية وواقعية بأسلوب يجمع بين الفن والواقعية.

لقد أصبحت الرواية الوسيلة الأنجح في التعبير عن هموم الناس والتحامهم بالواقع المعاش، حيث تعتمد على أساليب متنوعة وتقنيات عديدة قادرة على سرد الأحداث بتفاصيلها وبشخصياتها ولغاتها وزمانها ومكانها، مما يسمح للقراء التفاعل مع النص بشكل أكبر وأعمق، ومن بين هذه التقنيات "تقنية التناوب السردي بين شخصيات الرواية"، تقنية غدت خصيصة تنفرد بها بعض الروايات العربية، ومنها مدونة بحثنا المعنونة ب "**وداعا قد لا نلتقي**" فأتى عنوان البحث كاملا " **التناوب السردي بين شخصيات رواية" وداعا قد لا نلتقي" لـ "أميرة عباد."**

وكان اختيارنا لهذه الرواية لسببين هما:

الأول؛ أنها تعالج قضية اجتماعية واقعية، أما السبب الثاني هو الرغبة في تحليل عناصر هذه الرواية والوقوف عند أهم خصائصها السردية، فكانت الإشكالية الأساسية في هذه الدّراسة هي:

لماذا عمدت الروائية إلى توظيف" تقنية التناوب" في سرد أحداث روايتها؟ وما الذي أضافته هذه التقنية للسرد الروائي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية، قسّمنا بحثنا إلى مقدمة، ومدخل، وفصلين، وخاتمة.

خصصنا المدخل للتعريف ببعض المصطلحات السردية، كمصطلح "السرد"، الرواية، والتناوب السردي.

وبعد أن قسمنا الرواية إلى حدثين رئيسيين، خصصنا الفصل الأوّل للحديث عن تجليات التناوب السردي في الجزء الأول من الرواية فعنونّاه ب "**تجليات التناوب السردي بين شخصيات الرواية "الجزء الأول**" فتحدثنا فيه عن التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات، ثمّ تحدّثنا في المبحث الثاني عن "التناوب السردي وعلاقته بالزمان والمكان".

لنعنون الفصل الثاني بـ " **تجليات التناوب السردي بين شخصيات الرواية "الجزء الثاني**" وفيه كذلك تحدثنا عن التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات، وعن التناوب السردي وعلاقته بالزمان والمكان.

وكان المنهج السردي هو الأنسب لدارسة هذا الموضوع باعتبار أننا نبحث عن تقنية سردية تمّ توظيفها ببراعة في هذا النّص الروائي.

ولانجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع المهمة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "**نظرية الرواية**" لعبد المالك مرتاض، "**تقنيات السرد في النظرية والتطبيق**"لآمنة يوسف، " **بنية النّص السردي من منظور النقد الأدبي**" لحميد لحمداني، و" **مقدّمة للسرد العربي**"

لسعيد يقطين، و" **السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي**" لعبد إبراهيم، و" **الكلمة في الرواية**" لمخائيل باختين.

وقد واجهتنا صعوبات عدّة أثناء إعداد هذا البحث منها قلّة الدّراسات التي تناولت هذه التقنية السردية، وهو ما جعل دراستنا تطبيقية بحتة.

وفي الأخير نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لكلّ الأساتذة الذين ساعدونا على فهم أغوار الموضوع وطريقة الولوج إليه.

مدخل

ضبط المفاهيم والمصطلحات

1-مفهوم السرد

2-مكونات السرد

3-مفهوم الرواية عند الغرب والعرب

4-مفهوم مصطلح التناوب

5-مفهوم الشخصية

I. مفهوم السرد:

برز السرد منذ بروز البشرية، حيث أنه مرتبط بوجود الإنسان في كلا الأزمنة، ويعد من المواضيع التي اهتم النقاد بدراستها وله عدة مفاهيم متعددة ومختلفة ننطلق من المفهوم اللغوي.

آ-لغة:

ورد مفهوم السرد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[1]﴾

ومعنى قوله (وقدّر في السرد) **«هو أن تكون الحلقات متناسبة وألا تكون ضيقة ولا واسعة، لأنها إذا لم تناسب فإنها تؤذي، تكون واحدة صغيرة وواحدة كبيرة، وإذا كانت واسعة فإنها تؤذي وقد لا تقي السّهام، وإذا كانت ضيقة فإنها لا تتحرك كما ينبغي ويثقل على اللابس[2]».**

وجاء في معجم لسان العرب أن السرد **هو «تقدمة شيء إلى شيء تأتى به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا. وسرد الشيء سردا وسرده وأسرده: ثقبه[3]».** فالسرد حسب "ابن منظور" يعني التتابع والتوالي"

ب_ اصطلاحا:

[1] سورة سبأ، الآية 11.

[2] محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة سبأ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية للنشر، ط1، السعودية، 2015، ص91.

[3] ابن منظور جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي، لسان العرب، ج3، دار صادر، ط1، بيروت، 2010، ص211 مادة (س.ر.د).

عرف مصطلح السرد في معجم مصطلحات نقد الرواية بأنه «**عملية انتاج يمثل فيها الراوي دور المنتج والمروي له دور المستهلك والخطاب دور السلعة**[1]». ففعل السرد يتألف من ثلاث عناصر تساهم في انتاجه وهي" الراوي والمروي له ونص الرواية" وهي عناصر متكاملة فيما بينها.

ويذهب "حميد لحمداني" في تعريفه للسرد على أنه «**الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق قناة (الراوي- القصة – المروي له) وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها**[2]».

ومعناه وجوب وجود قصة لكي يتم الحكي فيها، وأنه يمكن للقصة الواحدة أن تسرد بطرق مختلفة مع حدوث بعض التغييرات من طرف الراوي لها.

أما "سعيد يقطين" فقد عرف هذا المصطلح على أنه «فعل لا حدود له، يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعها الإنسان أين ما وجد وحيثما كان[3]».

بهذا فإن السرد أساسا يقوم على ايصال فكرة ما إلى المتلقي سواء أكان قارئا أو مستمعا.

II. مكونات السرد:

يتكون السرد الروائي من ثلاث مكونات أساسية متكاملة فيما بينها لا يمكن اسقاط أي عنصر منه لأنه إن حدث ذلك انتهى فعل السرد، وهذه المكونات هي:

1_ الراوي:

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي انجليزي فرنسي، دار النهار للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2002، ص105.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دار البيضاء، 1991، ص45.

[3] سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1997، ص19.

عرّف الراوي بأنه «**ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة، ولا يشترط أن يكون الراوي اسما متعينا، فقد يكتفي بأن يتقنع صوت بصوت أو يستعين بضمير ما، يصوغ بواسطته المروي**[1]». كذلك هو «**الوساطة بين العالم الممثل والقارئ، وبين القارئ والمؤلف الواقعي فهو العون السردي الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية أساسا. ويهتدي إليه بالإجابة عن السؤال "من يتكلم"، ويمكن رسم صورته من خلال ما يتركه ضرورة من بصمات في الخطاب القصصي**[2]».

فهو أهم شخصية لأنه أساس انطلاق أحداث الرواية وتوزيعها داخل المتن الحكائي بانتظام فبه أولا يكون فعل السرد وبه تبدأ الحكاية.

2_المروي:

وهو «**كل ما يصدر عن الراوي، وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث تقترن بأشخاص، ويؤطرها فضاء من الزمان والمكان وتعد الحكاية جوهر المروي، والمركز الذي تتفاعل عناصر المروي حوله، بوصفها مكونات له**[3]»، وبشكل أوضح «**إنه مجموعة من المواقف والوقائع المروية في سرد ما**[4]». فالكلام المروي هو مضمون القصة التي يبثها الراوي على شكل متن حكائي واعي مرتبط بأشخاص يسيرهم في مكان وزمان معين.

3_ المروي له:

[1] عبد الله ابراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، د. ن، ط1، د. ب، ص11.

[2] محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، محمد علي للنشر وآخرون، ط1، تونس وآخرون، 2010، ص195.

[3] المرجع السابق، ص12.

[4] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، ت: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص142.

ويعرف بأنه «**المتلقي لما يرسله الراوي سواء كان اسما متعينا ضمن البنية السردية، أم كائنا مجهولا أي أنه شخصية موجودة في ذهن الراوي مجهول ومتخيل وفق ما يمليه خيال الراوي**[1]».

وقد عرفه "جيرار جنيت Gérard Genette" بأنه «**أحد عناصر الوضع السردي، ويقع بالضرورة على المستوى القصصي نفسه؛ أي أنه لا يلتبس قبليّا بالقارئ (ولو الضمني) أكثر مما يلتبس السارد بالضرورة بالمؤلف**[2]». وبهذا فهو أحد أهم العناصر المكونة للسرد لارتباطه أساسا بالراوي وبه يكتمل بناء الرواية.

III. مفهوم الرواية:

تعتبر الرواية من أشهر الأنواع النثرية الأدبية التي تركت بصمتها في حياة الإنسان منذ ظهورها وما زالت محل اهتمام الكتاب والقراء، فقد تعددت مفاهيمها بتعدد النقاد واختلاف واجهات نظرتهم.

1-لغة:

ورد في معجم الوسيط أن «**روى على البعير ريا: استقى، روى القوم عليهم ولهم: استقى لهم الماء، ويقال روى على الرجل بالرواء: شد عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، وروى الحديث أو الشعر رواية: حمله ونقله فهو راو، (ج) رواة**[3]».

---

[1] عبد الله ابراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ص12.

[2] جيرار جنت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم عبد الجليل الأزدي عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، د.ب، 1997، ص268.

[3] ابراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مجلد1، 2004، ص384.

وجاء في لسان العرب لابن منظور «**روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه عنه. قال الجوهري: رويت الحديث والشعر رواية فأنا راو، في الماء والشعر، من قوم رواة. ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته، وأرويته أيضا**[1]».

من خلال التعريفين، نستنتج أن الرواية هي نقل الأقوال والأخبار بين مخاطبين أو أكثر.

2_اصطلاحا :

تطور مفهوم الرواية مع تطور الزمن وهذا ما أكده "عبد المالك مرتاض" الذي قال أن الرواية «**تتخذ لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا**[2]». أي أن الرواية تعرف على حسب فهم كل شخص، وحسب اختلاف وجهات النظر إليها .

ليعرفها لطيف زيتوني على أنها «**نص نثري تخيلي سردي واقعي غالبا يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة**[3]». فالرواية هي سلسلة من الأحداث تسرد بسرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداث على شكل قصة متسلسلة.

IV. مفهوم الرواية عند الغرب والعرب:

يختلف مفهوم الرواية بين الغرب والعرب باختلاف وجهات نظرهم.

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص348مادة (ر، و، ى).

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998، ص11.

[3] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص99.

1_عند الغرب:

عرف "ميخائيل باختينMikhail Bakhtine" الرواية بأنها «**تنوع كلامي وأحيانا لغوي اجتماعي منظم فنيا وتباين أصوات فردية، والتفكك الداخلي للغة القومية الواحدة إلى لهجات اجتماعية وطرق تعبير خاصة بمجموعات معينة**[1]» ففي نظره أن تنوع الرواية يكمن في تنوع اللهجات والأفراد وخروجها إلى العالم بتنوع الأشياء فيها وتعدد اللغات.

ونجد الناقد الفرنسي" سينت بيف Sainte Beuve" يعرفها بأنها « **حقل فسيح من الكتابات التي تتخذ لها سيرة الاقتدار على التفتح على كل أشكال العبقرية بل على كل الكيفيات، إنها ملحمة المستقبل وربما تكون الملحمة الوحيدة التي ستحتويها التقاليد منذ الآن**[2]». أي أن الرواية عبارة عن حقل تجارب تتطور مع تطور التجربة.

أما "هاواي Huet" فقد عرفها بأنها «**حكايات مصطنعة لمغامرات غرامية، مكتوبة بنثر فني، بغرض امتاع القارئ**[3]». فهي فن تأليف القصص لتسلية القراء.

2_عند العرب:

عرف "فتحي ابراهيم" الرواية على أنها «**سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية والوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية ما صحبها من تحرر الفرد من ربقة التبعيات الشخصية**[4]».

---

[1] ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاج، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سوريا، 1988، ص11.

[2] عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص16.

[3] برنار فاليت الرواية، تر: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، ط1، الجزائر، 2008، ص21.

[4] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط1، تونس، 1986، ص177.

فنستنتج من خلال هذا التعريف أن الرواية لم تكن معروفة سابقا وأن لها ميزات خاصة، منها أن تكون قصص نثرية طويلة، تصور لنا الأحداث والشخصيات والأفعال والمشاهد.

وأما "الطيب بوعزة" فيحاول أن يقدم لها تعريفا موجزا فيقول بأنها «شكل أدبي سردي يحكيه راو[1]». فهو حصر الرواية بوجود السارد لها وإلا بهذا لا تسمى رواية.

كذلك نجد "عبد المالك مرتاض" يعرفها بأنها «جنس أدبي راق، ذات بينة شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل؛ تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل، لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميلا[2]»منه أن الرواية عبارة عن عناصر متكاملة مع بعضها.

V. مفهوم مصطلح التناوب:

1_لغة:

جاء في معجم لسان العرب «**ناب عني فلان ينوب نوبا ومنابا أي قام مقامي، وناب عني في هذا الأمر نيابة إذا قام مقامك[3]**».

وأيضا نجد معنى ناب في معجم الوسيط في قوله «**ناب الشيء _نوبا: قرب. وإلى الشيء: رجع إليه واعتاده. يقال ناب النخل إلى الخلايا. ويقال: ناب إلى الله: تاب ولازم طاعته. وعنه نيابة قام مقامه. فهو نائب (ج) نوّاب[4]**».

فمعنى مصطلح ناب هو أن يأخذ شخص الحكي من شخص آخر ويسرد الكلام نيابة عنه.

2_اصطلاحا:

---

[1] الطيب بوعزة، ماهية الرواية، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2016، ص20.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص27.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص733 مادة (ن، ا، ب).

[4] ابراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مجلد1، ص961.

يعرف التناوب على أنه أسلوب يستعين به الكاتب أثناء سرد الشخصيات لأحداث الرواية «**إذ يتناوب الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع واحدا بعدا الآخر، ومن الطبيعي أن يختص كل واحد منهم بسرد قصته، أو على الأقل قصة مخالفة من حيث زاوية النظر لما يرويه الرواة الآخرون، وهذا ما يسمى عادة الحكي داخل الحكي**[1]». ونستخلص من هذا القول أن السارد يمنح لكل شخصية دورا داخل الرواية للكلام وتكملة أحداث الرواية.

VI. مفهوم الشخصية:

1_لغة:

اقترن لفظ الشخصية في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ(97)[2]﴾

ويفسر ابن كثير هذا الجزء من الآية (فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) «**من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام**[3]».

وفي معجم لسان العرب نجد «**شخص: الشّخص: جماعة شخص الانسان وغيره، مذكر، والجمع أشخاص وشخوص وشخاص. والشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعيد، تقول ثلاثة أشخص. وكلّ شيء رأيت جسمانه، فقد رأيت شخصه**[4]». يشير هنا إلى مظهر الشخص الخارجي، بما في ذلك في سلوكه أو تصرفاته، كذلك يشير على الحضور والوضوح.

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص49.

[2] سورة الأنبياء، الآية 97.

[3] أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، سورة الأنبياء، دار ابن حازم، ط1، بيروت، 2000، ص1253.

[4] ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش خ ص)، مج:7، ص45.

2_اصطلاحا:

يعرف عبد المالك مرتاض الشخصية بأنها «**هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى؛ حيث أنها هي التي تصنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصنع المناجاة (le monologue itérieur)، وهي التي تصنع الحدث**[1]». أي أن الشخصية هي محور الأحداث، وهي عبارة عن كائن بشري له صفات بشرية تتفاعل مع المكان والزمان فهي أهم عنصر في بناء الرواية.

كذلك تعرف بأنها «**كل جزء مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصية، بل يكون جزءًا من الوصف**[2]». فالشخصية عنصر متفاعل في سيرورة الأحداث.

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص91.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص114.

الفصل الأول

تجلّيات التناوب السردي بين شخصيات رواية"وداعا قد لا نلتقي" (الجزء الاول)

1- المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات

أ- مفهوم الحدث

ب- طرق تقديم الحدث

2-**المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان**

أ- مفهوم المكان

ب- مفهوم الزمان

1_ المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات:

للتناوب وظيفة أسلوبية داخل العمل السردي، فهو يقوم على اظهار الكيفية التي تم بها سرد الأحداث لا كيفية بنائها، وقد عمدت الروائية "أميرة عباد" إلى توظيف هذه التقنية في سرد أحداث روايتها التي عنونتها بـ "وداعا قد لا نلتقي"، وأجادت في ذلك، كونها قد أضفت على النّص الروائي ككل متعة في قراءتها ومعايشة أحداثها في الأزمنة والأمكنة ومع الشخصيات التي اختارتها، وإن كان الحدث هو الأساس فيها كونه «**العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية (الزمن، المكان، الشخصيات، اللغة)**[1]».

أ- مفهوم الحدث

كذلك هو «**كلّ ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة أو انتاج شيء. ويمكن تحديد الحدث في الرواية بأنه لعبة قوى متواجهة أو متحالفة، تنطوي على أجزاء تشكل بدورها حالات محالفة أو مواجهة بين الشخصيات**[2]».

ب- طرق تقديم الحدث: تُقدّم الأحداث الروائية بثلاثة طرق وهي:

1_الطريقة التقليدية:

وهي الطريقة المتداولة عند الروائيين القدامى في كتابة روايتهم اذ نجد أن «**القاص البدائي يقدم لسامعيه الأحداث في خط متسلسل تسلسلا زمنيا مضطردا، وبنفس ترتيب وقوعها**»[3] وبهذا فالأحداث تبدأ من زمن الصفر إلى زمن النهاية.

---

[1] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 2015، ص37.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي إنجليزي فرنسي، ص74.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، ط1، مصر، 2004، ص54.

2_الطريقة الحديثة:

وفي هذه الطريقة يقوم الروائي في بداية عرضه للأحداث للعودة للوراء حيث «**يشرع القاص فيها بعرض حدث قصته من لحظة التأزم، أو كما يسميها بعضهم "العقدة" ثم يعود إلى الماضي أو إلى الخلف ليروي بداية حدث قصته. مستعينا في ذلك ببعض الفنيات والأساليب كتيار اللاشعور والمناجاة والذكريات**[1]» وهذه الطريقة التي يعتمدها الكثير من الروائيين في الوقت الحالي إذ أن الحدث أصبح له دور في تفاعل عناصر الرواية الأخرى.

3_طريقة الارجاع الفني:

يعمل الروائي في تقديم نهاية الحدث ثم يعود بعد ذلك في سرد الأحداث من البداية «**وقد استعملت هذه الطريقة قبل أن تنتقل إلى الأدب القصصي في مجالات تعبيرية أخرى كالسينما. وهي اليوم موجودة في الرواية "البوليسية" أكثر من غيرها من الأجناس الأدبية**[2]». وبهذا يتم التلاعب بزمن الحدث ووضع الرواية في موضع التشويق لدى القارئ.

وفي روايتنا المعنونة ب "وداعا قد لا نلتقي" تم بناء الأحداث بالطريقة الحديثة التي أسلفنا الذكر عنها بأنها تبدأ من العقدة لتعود بالذكريات للوراء وتعود مرة ثانية للواقع وتحل تلك العقدة فالأحداث تدور حول فتاة عاشت ظروف قاسية ومتعددة.

تبدأ الرواية بشخصية زينب بطلة الرواية التي بحثت بين صفحات الكتب عن معنى اسمها فوجدت أن زينب في اللغة العربية تعني «**شجرة عطرة الرائحة**[3]»، فمعنى اسمها كان له نصيب في

---

[1] شربيط أحمد شربيط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، سوريا، 1998، ص23.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، دار فضاء للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2019، ص07.

حياتها الحزينة، وكذلك إحسان صديقة دربها وعائلتها؛ أختها سارة، ووالدتها الخالة فاتن ووالدها، تبدأ أحداث الجزء الأول بيوم تخرج زينب وإحسان وتحقيق حلمهما في سلك المحاماة؛ تقول الخالة «**الحمد لله.. تخرجتما أخيرا**»[1]، ليقرر والد إحسان إقامة حفلة على شرفهما، فرحة كبيرة غمرت إحسان وألم كبير وجرح عميق في قلب زينب، لأنّ والدها مدمن كحول؛ تحدث نفسها قائلة بصمت «**كم أغبطك يا إحسان.. وللمرة الألف أتمنى لو أن والدي لم يكن مدمن كحول**[2]».

وبعد العشاء تقرر زينب الانصراف والبقاء لوحدها كي تعيش تلك الأحاسيس ولا يراها أحد وهي تتألّم وتبكي؛ «**كنت أود البقاء مع إحسان هذه الليلة، لكن رغبة عارمة جعلتني أغادر إلى شقتي لأحظى بقليل من الوقت لنفسي وقليل من الدموع أيضا..**[3]» لكن تلك الأحاسيس والدموع لم تستطع اظهارها حتى لنفسها من كثرة ادعائها بالقوة، «**وهل أملك دموعا حتى أقوم بفعل البكاء.. وليكن، سأتباكى.. يا للسخرية حتى الدموع بخلت بها عليّ أيتها الحياة البائسة**[4]»، حاولت مرارا البكاء لكن دون جدوى، وفي لحظة من هذه الأحاسيس تذكرت والدتها (الخالة فاطمة) التي لم تستطع زيارتها بسبب بعد المسافة وظروف دراستها، فهي تسكن في باريس وأمها في الجزائر؛ تقول: «**آآآه أمي اشتقت لك كثيرا..**[5]» فهي تعيش في صراع مع الظروف القاسية التي أجبرتها على ترك والدتها.

وفي الصباح الباكر قامت زينب باكرا واتصلت بابن عمتها "**أمجد**" الذي يسكن قريبا منها كي يوصلها لبيت إحسان من أجل الاحتفال مع بعض وكان يوما مميزا بالنسبة لها، تقول «**كان**

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص 7.

[2] المصدر نفسه، ص8.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص10.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يوما رائعا بحق، جميع من دعوناهن جئن وتبادلنا الهدايا والابتسامات والضحكات الصادقة والنابعة من القلب..[1]»، في طريق العودة أخذها الحديث معه عن عائلة إحسان بأنهم عائلة محترمة وسألها في ذكر العائلة عن والدها **«على ذكر العائلة.. كيف هو خالي[2]»** وهنا اكتفت بقولها أنّه **«سوى مدمن خمر لا هدف له من الحياة سوى تبذير نقوده كيفما اتفق.. أحيانا أقارن بينه وبين العم ابراهيم.. شتان ما بينهما.. لا وجود للمقارنة أصلا..[3]»**، ثم أنهت الحديث.

مرت أيام من التخرج قضتها فيها زينب رفقة إحسان وأمجد في التنزه والتجوال في أهم مناطق باريس؛ **«قضينا أوقاتا رائعة جدا زرنا متحف اللوفر والعديد من الأماكن السياحية.. ألا يحق لنا ذلك بعد كل ما عنيناه طوال عام تخرجنا..؟[4]»** و بعد انتهاء التجوال عادت زينب إلى منزلها، وكان أول شيء قامت به هو الضغط على الهاتف كي ترى إن كانت والدتها قد تركت لها رسالة ما، و قد راودها إحساس غريب عبرت عنه بقولها: **«شيء ما حزّ في نفسي بأن أمي لم تستطع الاتصال بي[5]»**، وكان إحساسها في مكانة فوالدتها قد تركت رسالة تخبرها فيها عن الاشتياق **«زينب.. كيف حالك، اشتقت كثيرا لك يا ابنتي تعالي لزيارتي في أقرب.. أنا في حاجة إلى وجودك معي[6]»** فحين سمعت هذه الرسالة ركضت وحجزت أول طائرة متجهة للجزائر.

في الصباح يوم غد قامت بالاتصال بأمجد كي يوصلها للمطار، ليتفاجأ من ذلك الاتصال قائلا: **«المطار؟؟ .. كيف قررت السفر هكذا فجأة؟.**

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص13.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص14.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[6] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فردت عليه قائلة: وأنت قلتها فجأة.. تركت لي أمي رسالة صوتية علمت منها أنها تحتاجني بقربها ولا شك في أنها مريضة[1]**».** وفي الطريق أخبرته بأنها نسيت اخبار إحسان بأنها مسافرة وطلبت منه اخبارها «**بالمناسبة أنا لم أخبر إحسان بأمر سفري هذا.. أرجوك افعل ذلك نيابة عني**[2]**».**

وصلت " زينب" إلى المطار وركبت الطائرة وطول تلك الرحلة بقيت تفكر في والدتها وجال في نفسها أنها لو لم تستمع إلى الرسائل لم تكن لتعلم أن والدتها متعبة ولابد من الذهاب إليها. وصلت إلى الجزائر وأول إحساس ملكها هو الحنين لهذا البلد، والشّعور بالوحدة وسط جمهور من الناس لا تعرف منهم أحدا:«**عندما تشعر بأنه لا أحد لك وأنت وسط مئات الأشخاص و.. وأنت في المطار وهل يوجد مكان يعبر الناس فيه عن أشواقهم أكثر من مطار..؟؟**[3]**»** خرجت وأخذت سيارة أجرة، وانطلقت إلى منزل والدتها التي تقطن في ولاية برج بوعريريج، وأثناء ذلك وصفت كل الأمكنة التي مرت بها؛ تقول: «**لم تغفل عيني عن رؤية أي شيء طوال الطريق جبال البيبان التي قال عنها أحد جنرالات فرنسا إبان الاحتلال الفرنسي الغاشم للجزائر: أنها جبال من حديد، سهول مدينة البويرة الجميلة، لم تتغير بلادي الحبيبة عن آخر زيارة قمت بها**[4]**»** وهذا ما جعلها تحس براحة نفسية لم تكن تحس بها من قبل وهي في بلاد الغربة وصلت إلى المنزل الذي تقيم فيه والدتها بعد انفصالها عن والدها بسبب الضرب وإدمان المخدرات، طرقت الباب، وتفاجأت أن صوت المجيب ليس بصوت أمها؛ «**من هناك؟**

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص15.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص17.

[4] المصدر نفسه، ص19.

تقول زينب «**صوت أمي مختلف قليلا.. لم أجب فقالت ثانية من بالباب لا لم يكن صوت أمي.. إنه صوت امرأة أخرى**[1]» كانت تلك المرأة صديقة والدتها واسمها ندى تدرس مع والدتها في المؤسسة التعليمية وتبقى معها أحيانا لمؤانستها، أقبلت والدة زينب وعلامات التعب كانت تظهر عليها من خطواتها وجسمها النحيف وعندما رأتها زينب ركضت لحضنها وهي تبكي وتلك أول مرة تنهمر دموعها بعد أن ظنت أنها نسيت معنى البكاء.

تقول زينب: «**أمي.. اشتقت اليك كثيرا.. سامحيني يا أمي.**

_ كانت أمي تضمني بأقصى ما لديها من قوة حتى تخيل إليّ أننا سنتوحد في كيان واحد.. اجبتني وهي تمسح بيدها على رأسي.

_ زينب حبيبتي.. وما أن سمعتها تقول ذلك حتى وجدتني أبكي بحرقة كطفل صغير اضاع أمه ثم وجدها أخيرا..[2]»

بعد تلك الدموع أدركت زينب أن ندى رأت كل تلك الأحاسيس التي لم ترد أن تظهرها لأحد «**يا لسذاجتي، تلك المرأة رأت بكائي وشهيقي ونحيبي كذلك.. الآن أخفي عنها بقايا دموع؟؟ وليكن لن ترى شيئا بعد الآن..**[3]».

وعندما بدأت تتبادل الأحاديث مع والدتها علمت أنها كم كانت مقصرة في حقّها، حيث أن أمها كانت تذكرها دائما أمام الآخرين أما هي فلم تذكرها حتى بين نفسها إلا نادرا؛ «**أتحدثين أصدقاءك عني يا أمي.. وأنا..، التي بالكاد أذكرك بيني وبين نفسي خشية أن يسمعني أحد..**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص20.

[3] المصدر نفسه، ص21.

أتبوحين بأشواقك لي لهم وأنا لا أتجرأ حتى على أن أقول أنني اشتقت لك.. آه كم أنا أنانية..[1]».

جلستا وسألتها والدتها عن سبب الزيارة ولماذا لم تخبرها كي تستقبلها في المطار «**أخبريني.. كيف قررت المجيء هكذا دون اخباري أيتها الشقية[2]**» فأجابت أنها سمعت رسالتها وأحست بأنها مريضة وكان إحساسها صحيح، وأضافت أن بسبب سرعتها تلك نسيت حتى أن تخبر صديقتها إحسان وأنها أيضا قد تخرجت وحققت الحلم فأجابت والدتها «**تخرجتما.. تخرجت يا زينب أنت الآن محامية.. آآه. ثم عانقتني مواصلة حديثها: خشيت أن أغادر هذا العالم وأغطى بالتراب دون أن اراك بثوب المحاماة.. وأخيرا حققت حلمك يا ابنتي[3]**»، وتلك كلمات أرجعت لزينب ذكريات تمنت لو تمحوها من حياتها للأبد.

غادرت ندى وعادت إلى منزلها بعد أن أخبرتها زينب أنها ستبقى مع والدتها، حيث تركتهما كي يأخذا راحتهما في الحديث ومحو اشتياقهما، وإخبار كل واحدة الأخرى ما حدث لها في فترة الغياب «**أخيرًا استطعت الاختلاء بأمي بعض الوقت أسرد لها كلما حدث معي طوال مدة غيابي عنها، كنت أحدثها عن أمجد ابن عمّتي وكيف أنه يساعدني دائما[4]**»، بعدها قامت زينب للتحدث مع إحسان واخبارها سبب المغادرة المفاجئة وأنه لم يكن لها وقت حتى كي تتصل بها، فدار بينهما حوار يعبر عن المحبة الكبيرة القائمة بينهما؛ تقول إحسان «**أيتها الشريرة.. لماذا لم تخبريني عن أمر سفرك.**

_لكنني طلبت من أمجد أن يخبرك.

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص21.

[2] المصدر نفسه، ص22.

[3] المصدر نفسه، ص23.

[4] المصدر نفسه، ص24.

_كنت أريد أن أعلم منك أنت.. كيف حالك.. وأين أنت الآن؟[1]».

لم يدم حديثهما طويلا بسبب سوء حالة والدتها المفاجئ وخوف زينب عليها، طالبتها بأخذها إلى الطبيب وحتى ذلك لم تطل فيه فالخالة فاطمة قد أغمي عليها، ليبقى غياب ندى ليوم واحد فقط فقد اتصلت زينب بها عندما رأت والدتها ملقاة على الأرض، ولم تستطع مساعدتها لوحدها فساعدتها هي؛ تروي لنا زينب فتقول «**نقلناها إلى أقرب مستشفى بالجوار.. كانت أمي في جناح الاسعافات لتلقي العلاج المناسب.. وبعد فترة قصيرة متجها نحونا قائلا:**

«_هل أنتما مع السيدة"؟ فقلت:

_أجل.. ماذا جرى لها أرجوك أخبرني

_لا نستطيع الجزم بشيء.. غير أنه يجب نقلها وبسرعة إلى مستشفى أكبر[2]».

بقيت والدة زينب لأيام في المستشفى وبقيت زينب معها إلى أن طلبت منها ندى مغادرة المشفى للراحة وبقائها معها، لكن أي راحة تأتي والأم مريضة، لجأت إلى الله ودعته والدموع تنهمر بغزارة والتي لم تكن تراها إلا نادرا «**إلهي لا منجي منك إلا إليك.. رفقًا بأمي يا رب خذ من صحتي وزدها.. خذني أنا واشفها.. وانخرطت في نوبة بكاء جنونية[3]».**

بعدما عادت إلى المشفى وكانت صدمة حياتها عندما وصلت، طلب الطبيب رؤيتها وأخبرها أسوء خبر يمكن لفتاة أن تسمعه حول صحة والدتها «**ماذا ظهر في النتائج؟**

_للأسف يا ابنتي.. والدتك مصابة بسرطان الثدي[4]».

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص25.

[2] المصدر نفسه، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص 28.

[4] المصدر نفسه، ص30.

وقال أيضا:

«المرض في مراحل متقدمة جدا.. ولا نستطيع السيطرة على تقدمه.. فعلنا ما علينا فعله»[1].

أغمي عليها بعد سماعها لذلك وعندما استيقظت وجدت نفسها فوق سرير المشفى وتذكرت ما أخبرها الطبيب وانهمرت تبكي بقوة **«آآه تذكرت.. أمي، حبيبتي أنا مصابة بالسرطان..**[2]**»**، وأخفت ذلك عن والدتها رغم معاهدتها من قبل بعدم إخفاء أي شيء عليها، فكأن الأم قد أحست بأنها مريضة بشيء ما.

«عديني يا ابنتي أن تخبريني عن كل ما يتعلق بحالتي لطفا.

_أعدك أمي...

وحنثت بالوعد واخلفته.. جبرا يا أمي فعلت..[3]**»**.

مرت أيام وزينب مع والدتها في المشفى وأثناء ذلك اتصل بها أمجد كي يأخذ رأيها في خطبة إحسان، وأخبرته أنه أحسن الاختيار وأخبرته أن والدتها مصابة بالسرطان؛ **«قلت ذلك وأغمضت عيني فشبح الذكرى يعود ثانية.. بالتحديد إلى اللحظة التي أخبرني فيها الطبيب أن أمي تعلم شيئا عن مرضها ويشدد عليّ ألا أؤكد لها شيئا أبدا.. قائلا:**

_سنضطر إلى استئصال الثدي المصاب.. علنا نوقف تقدم الفيروس[4]**»**.

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص31.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص32.

[4] المصدر نفسه، ص34.

وقبل انهائها المكالمة علمت زينب أن والدتها اكتشفت مرضها، أثناء تحدث الممرضات عنها وبدأت تصرخ بأعلى صوت لها.

«لا لن يلمسني أحد.. أريد مقابلة الله كما خلقني.. لا أريد أن اقابله بجسد مشوه.. لاااا"

وعبثا حاولت تهدئتها أنذاك:

_"أمي: تماسكي أرجوك.. لن أسمح لهم بفعل ذلك، اطمئني".

_"لا اا لا تلمسوني ابتعدوا عني جميعكم..[1]».

استسلمت الخالة فاطمة للمرض فمنذ ذلك اليوم وجسمها استسلم تلقائيا للمرض في تلك الفترة تلقت زينب خبر أن إحسان وأمجد خطبا فاتصلت وباركت لهما، أثناء المحادثة رأت زينب الأطباء يركضون لغرفة والدتها فوجدت أن والدتها فارقت الحياة عدة مرات إلا أن الأطباء أعادوها للحياة بواسطة الأجهزة.

أحست زينب كم هو صعب فراق والدتها، ففكرت بإخبار والدها ضنا منها أنه سيحن قلبه، لكنها ندمت أشد الندم لذلك الاتصال حينما قال **«فلتذهب إلى الجحيم.. لا تتصلي بي للحديث عنها ثانية..[2]»**، كلام آلمها كثيرا لكن تيقنت أن موت والدتها أحسن لأن والدتها طيبة وهذا العالم لا يستحق طيبتها وأن مكانها الحقيقي في الجنة عند الله تعالى، ثم تذكرت نفسها كيف يمكن أن تكمل الحياة بدونها؛ **«لكن ماذا عني.. كيف سأحيا دون رؤية وجه أمي الذي ما صدّقت أنني تخرجت**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص38.

لأعود للعيش معها.. سيّء أن تعيش حياتك حزينا تعيسا.. لكن الأسوأ أن تعيش سعادات متقطعة تحييك يوما لتقتلك أعواما[1]».

دخلت عند والدتها بعد ذلك الاحساس السيء وأرادت التحدث معها، كما أنها لم تتحدث معها من قبل، استيقظت والدتها وكان وجهها مبتهجا وله نور كانت تودع فيها وهي علمت بذلك

«زينب يا ابنتي..

_لا تتحدثي يا أمي أرجوك، ذلك مضر لك.

_لا.. لا تمنعيني فعما قريب سأصمت وإلى الأبد[2]».

تألمت زينب لما تقوله والدتها وهي تراها بتلك الحالة، ثم سمعتها تقول بنفس متقطع **«أستطيع رؤية الموت الآن يقترب مني بخجل وأسف.. يخشى أخذي معه.. رغم أنني أريد ذلك بشدة.. سأصر على الذهاب فلا تهني ولا تحزني..[3]».**

ثم بدأت بتوصيتها **«زينب كوني كما عهدتك دوما نخلة باسقة.. شجرة ثابتة تمتد جذورها في الأرض مسافة.. لا تفقدي قوتك أبدا.. ولا تخشي الوحدة، الوحدة أحيانا أرحم بكثير من، من معاشرة، من معاشرة بشر، ذلك أرقى ما يوصفن به..[4]».**

أكد كلام أمها أنها ستفارقها وهذا أصعب شيء يمكن أن تتقبله زينب؛ تقول: **«كنت أطأطئ رأسي حين شعرت بيد أمي تبتعد عنه تدريجيّا رفعته فوجدتها ترفع سبابتها إلى السماء ناشده**

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص39.

[2] المصدر نفسه، ص40.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

التشهد: تمتمت أمي على مرأى مني الشهادة حتى اكملتها ثم ابتسامت ابتسامة واهية وأرخت رأسها برفق على كتفها وهوت يدها اليمنى في سكون تام وهدوء.. تماما كهدوء الموت..[1]» فالروح قد وصلت إلى بارئها.

كانت الصدمة كبيرة بالنسبة لها وبقيت مدة من الزمن لم تستوعب ما حدث معها ثم حضنت والدتها وقبلت جبينها، وعاهدتها بأنها لن تستسلم للحياة وستحارب من أجل حياة سعيدة.

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص41.

2_المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان

أ_ التناوب السردي وعلاقته بالمكان:

يعتبر **المكان «شبكة من العلاقات والرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشديد الفضاء الروائي الذي ستجرى في الأحداث، والمكان يكون منظما بنفس الدقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية، لذلك فهو يؤثر فيها ويقوي من نفوذها كما يعبر عن مقاصد المؤلف»**[1]، كما **«يساهم في خلق المعنى داخل الرواية ولا يكون دائما تابعا وسلبيا بل إنه أحيانا يمكن للروائي أن يحول عنصر المكان إلى اداه للتعبير عن موقف الأبطال من العالم[2]»**. فالمكان يعمل على تجسيد علاقة بين الأحاسيس التي تكون عليها الشخصية وسيرورة الأحداث.

وفي روايتنا نجد أن الروائية اعطت للمكان قيمة كبيرة في تسلسل الأحداث وبداية ذلك نجد:

_منزل إحسان: ومنه بدأت مجريات الأحداث ففيه تبدأ زينب بالسرد عن فرحتها بالتخرج وانتهاء أيام التعب، وندرجه من زاوية الأماكن المفتوحة بالنسبة لها إذ تجد نفسها سعيدة فيه وينقص احساس فقدان العائلة الذي يرافقها فتقول **«أفراد عائلة صديقتي إحسان رائعون حقا، وأنا أحبهم كثيرا واعتبرهم عائلتي الثانية[3]»**.

_منزل زينب: وهومن الأماكن المفتوحة اذ تجد زينب نفسها كتاب لذاتها ففيه تشعر وتعبر عن كل أحاسيسها من حزن وألم فهو بمثابة صندوق أسرارها لذلك الوجه المخفي عن العالم الذي لا يمكن

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء_ الزمن_ الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990، ص32.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص70.

[3] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص08.

أن تظهره لأي شخص مهما كان، «**التجأت دون أن أنزع ملابسي إلى ذلك الركن من غرفة نومي.. كان زاويتي المفضلة اقوم فيها بالتفكير والقراءة والتأمل والصلاة أيضا.. الليلة سأفعل هناك شيئا جديدا.. سأبكي فيه..**»[1]

_المطار: رغم اعتباره من الأماكن المفتوحة في طبيعته الا أنه في الرواية بالنسبة للبطلة يعتبر مكانا مغلقا حيث تقول: «**عندما تشعر بأنه لا أحد لديك وأنت وسط مئات الأشخاص وأنت في مطار وهل يوجد مكان يعبر الناس فيه عن أشواقهم أكثر من مطار..؟؟**[2]» ففيه يكبر احساس الوحدة لدى زينب وتحزن لذلك.

_منزل الأم: يعتبر من الأماكن المفتوحة، ففيه تحس زينب بالراحة النفسية، وتعود إلى طبيعتها التي كانت تفتقدها، وفيه فقط تستطيع التعبير عن أحاسيسها أمام شخص آخر وهي والدتها؛ «**زينب حبيبتي.. ". وما ان، سمعتها تقول ذلك حتى وجدتني أبكي بحرقة كطفل صغير أضاع أمّه ثم وجدها أخيرا..**[3]»، وهناك أدركت زينب أن منزل والدتها هو أمانها الحقيقي الذي كانت تفتقده وهي في بلاد الغربة.

_المشفى: ويتخذ في هذه الرواية زاوية المكان المغلق ففيه تتغير حياة زينب بعد معرفتها بمرض والدتها؛ «**رغم ما علمته عني قبل سنوات خلت من طبيب لا يشبه هذا الطبيب.. فأن هذا الخبر كان الأسوأ، ولم أعد أرى شيئا، أظلمت الدنيا في وجهي، حتى أذناي خانتاني ولم أشعر بنفسي**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص10.
[2] المصدر نفسه، ص17.
[3] المصدر نفسه، ص20.

إلا وأنا أمشي مترنحة نحو الرواق[1]» رغم أنه يعتبر مكان راحة وشفاء للناس الا أنها فقدت فيه أغلى ما تملك.

إن المكان في الرواية لا يقتصر في تقسيمه بين مفتوح ومغلق إنما يتفاعل مع مجرياتها فيضفي إثارة وتشويق في تسلسل الأحداث، ويظهر التناوب فيها في تقسيم الروائية الأماكن، واعطاء ميزة لكل مكان وتغيير اعتقاد القارئ فيه، كذلك يظهر في تقلب حالة زينب مع كل مكان تتواجد فيه، من حزن إلى فرح وهذه التقلبات تحدث مع أي شخص آخر في الواقع المعاش، فهذا التناوب الذي اعتمدت إليه أدى إلى جعل القارئ عنصرا متفاعلا، يتخيل في كل مكان كيف كانت حالة زينب.

ب_ التناوب السردي وعلاقته بالزمن:

يمثل الزمن عنصرا فنيا مكملا للعمل الروائي يضفي فيه لونا ابداعيا، فيصفه عبد المالك مرتاض بأنه« **مظهر وهمي يزمن الأحياء الأشياء فتتأثر بمضيه الوهمي غير المرئي، غير المحسوس، والزمن كالأكسجين يعايش في كل لحظة من حياتنا وفي كل مكان من حركاتنا غير أننا لا نحس به ولا نستطيع أن نتلمسه، ولا أن نراه ولا أن نسمع حركته الوهمية على كل حال[2]»**، فالزمن كظل الانسان حيثما يكون يتمحور معه إذ لا يمكن تصور حدث روائي دونه **«لأنه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها، فالزمن حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى[3]».**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص31.

[2] عبد المالك مرتاض، نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص172_173.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص38.

وفي روايتنا وجدنا أن الروائية اعتمدت في السرد على التناوب بين الزمن الأني والمفارقات الزمنية، حيث استفتحت الرواية بالاسترجاع الذي يقصد به «**مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة**[1]» وهذا الاسترجاع يتجلى في قول البطلة «**أول مرة فتحت فيها المعجم كان للبحث عن معنى اسمي وجدت أن زينب في اللغة العربية تعني شجرة عطرة الرائحة، ويوما بعد يوم كنت اكتشف أن لي نصيبا من اسمي..**[2]» وهذا الاسترجاع خارج عن الأحداث إذ عرّفت من خلاله الروائية الشخصية البطلة، ثم تعود في سردها من ذلك الاسترجاع إلى الزمن الحالي «**الذي فيه تتابع الأحداث كما تتابع الجمل على الورق**[3]» فتقول:

«**قبل أن أجد إجابة لتساؤلاتي رأيت سارة تهم بإيقاظ إحسان صديقتي الوحيدة..**

_اششت.. لا تصدري صوتا مزعجا يوقظها.. دعيها تنم، بسلام.. لقد تعبت اليوم كثيرا[4]».

بعد ذلك يلي بعض من السرد، تواصل فيه عرض الأحداث وموقع معها ثم عودتها مرة ثانية إلى الاسترجاع حين تذكرت والدتها فتقول: «**اه أمي اشتقت لك كثيرا.. لم أكن قد رأيت أمي أكثر من عام**[5]»، **فلا يطول هذا الاسترجاع طويلا لتعود إلى زمن الحاضر وتوالي السرد بعد يوم شاق من التعب وغدا أيضا فتقول «أجبرت نفسي في تلك الليلة على النوم فغدا يوم حافل ويجب أن اكون في كامل نشاطي..**[6]» وتضيف «**في الصباح اتصلت بابن عمتي أمجد الذي يقطن**

---

[1] جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، ص25.

[2] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص07.

[3] محمد عزام شعرية الخطاب السردي _دراسة_، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2005، ص108.

[4] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص07.

[5] المصدر نفسه، ص10.

[6] المصدر نفسه، ص11.

بباريس، المدينة نفسها التي أقيم فيها» كذلك «بعد انتهاء الحفلة مساء ودعنا عائلة إحسان وخرجنا مغادرين[1]».

فالكاتبة هنا حينما سردت تتبعت الأحداث حدثا تلوى آخر، الا في مرحلة من هذا الحكي تقوم بتسريع حركه السرد حيث أن «**الراوي يقص في بضعه أسطر اوفي عدة مقاطع ما مدته سنوات عدة وأشهر عدة وأيام عدة**[2]» ويظهر التسريع هنا في الرواية في قولها «**قضينا اوقاتا رائعة جدا زرنا متحف اللوفر والعديد من الأماكن السياحية: الا يحق لنا بعد كل ما عنيناه طوال عام تخرجنا..؟**[3]»، ليعود السرد مرة أخرى للزمن الحالي وتتابع زينب الحكي عن أحداث سفرها ووصولها إلى الجزائر وذهابها إلى منزل والدتها لتسترجع في ذلك الحين في ذاكرتها إلى سبب طلاق والدتها فتقول: «**رغم كوننا مسلمين محافظين إلا أن أبي كان مدمن خمر.. ولم تستطع أمي تحمل ذلك**[4]» راجعه بعد ذلك للأنية بلقائها والدتها ثم مرضها حتى يوم وفاتها.

تقوم تقنيه التناوب في الزمن في رواية "وداعا قد لا نلتقي" بين استرجاعات قدّمت تعريفا بالشخصية البطلة ووصف الأحاسيس والأحزان التي شعرت بها بعد تذكر ما عاشته لتتابع السرد في الآنية لتقرب الرؤية للقارئ، أما تسريع الحدث كان لجعله متفاعلا ومصورا لتلك الأحداث.

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص11.

[2] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، ط2، لبنان، 1999، ص128.

[3] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص14.

[4] المصدر نفسه، ص19.

الفصل الثاني

تجليات التناوب السردي بين شخصيات رواية "وداعا قد لا نلتقي "الجزء الثاني

1-المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات

2- المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان

المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات.

تبدأ أحداث الرواية في الجزء الأول بتحقيق الحلم الذي طالما سعى الانسان إلى اثبات ذاته وتحقيق المراد، تحققت أمنية زينب في أن تصبح محامية، رغم الصعوبات التي واجهتها؛ الغربة والبعد عن أمها، أما الفصل الثاني فيبدأ بحدث تلقي زينب خبر وفاة والدتها الذي آلمها كثيرا وترك بداخلها جرحا عميقا عبّرت عنه بقولها: «**ذهبت أمي رفيقه الزمن الجميل.. الزمن القاسي.. الزمن التعيس ذهبت وتركتني أواجه الحياة بكل آلامها القادمة وحيدة.. لا حول لي ولا قوة..**[1]» تمضي لتقول أيضا «**لم تعد تشعر بشيء.. لا شيء غير سواد في سواد مستمر**[2]» فقد ذهبت من كانت بالحياة وتعطيها املا، ذهب نبع الحنان والسند الدائم لها رغم الغربة.

يتجلى التناوب في الرواية كتقنيه وآلية أساسية في الحكي تجعل القارئ يستمتع في قراءتها ويتطلع إلى سماع بقيه أحداث الرواية المشوقة، وتبدأ هنا الشخصيات بالتناوب فتظهر إحسان رفيقة دربها وصديقتها المفضلة في سرد ما كانت تعيشه صديقتها زينب من ألم وحزن بعد فراق أمها، تلقت إحسان نبا وفاة أمّ أعز صديقة وأخت لها الخالة فاطمة فأخبرها أن عمته توفيت ،صدمت عند سماع هذا الخبر، فهي تعلم مدى حب زينب وتعلقها بأمها وبأنها تعيش أياما حزينة وصعبة، فكان لابد عليها من الذهاب إليها؛ فقالت: «**أمجد لا نستطيع تركها هناك وحيدة، علينا الذهاب إليها بأقصى سرعة..**[3]» وذاك ما حدث، فقد غادروا فرنسا نحو الجزائر متجهين إلى بيت زينب، وهناك وصلوا والدموع في أعينهما ووجدا الخالة ندى صديقة فاطمة التي كانت معها في كل مجريات حياتها، ذهبت إحسان إلى زينب وضمتها بقوة والبكاء مسيطر عليهما، لكن زينب أثناء

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص43.

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ذلك لم تذرف ولو دمعة واحدة. فنابت" إحسان" عن زينب في سرد المعاناة والآلام التي كانت تعيشها زينب بعد فقدان أمها إذ رأت أنه لابد من مواساتها في تلك المحنة.

ثم انتقل السرد إلى أمجد الذي يخبرها أنه معها ولن يتركها لوحدها في محنتها هذه فيقول لها: «**لا تخشي شيئا نحن هنا معك**[1]» ليأتي زينب بعدها لتواصل السرد عن الحالة التي كانت عليها من الصدمة القوية التي تلقتها، فتقول «**ماتت أمي يا أمجد.. اسمعت؟ أنها أمي.. أمي..**[2]» وكم الموت قاسية، لتخبرنا إحسان بعد ذلك عن الحالة التي كانت فيها والالم الذي تعيشه فهي كانت تلوم نفسها وترى أنها هي السبب في موت أمها، لكن قدر الله هو الساري والموت شيء لابد منه حتى ولو كان مرا، حيث كانت حرقة "زينب" شديدة على أمها وعلى الفراق الأبدي فكانت تقول «...**حتى أنا لم أروي ناظري برؤيتها وأذني بسماع صوتها.. وأشواقاه إليك يا أمي.. والهفي عليك لها فوق قلبي.. في هذا البرد القارس والجو الماطر يا إحسان أمي هناك.. وحيدة تحت التراب لا أحد بجانبها..**[3]» فكانت حزينة على وفاتها وغير مصدقة أنها تركتها وحدها في هذه الحياة.

تأرجح التناوب بين شخصيتين أساسيتين؛ تارة إحسان ترصد لنا الحالة التي فيها زينب كأنها هي بذاتها جديدة وهذه تقنية جديدة في فن الحكي، وتارة أخرى زينب هي التي تسرد حالتها المؤلمة على لسانها أن إحسانا وأمجد قادمان لمواساتها في كربتها وحزنها وأثر ذلك على نفسيتها، فهناك قبل مجيئهم لم يكن أحد يصغي لما تعيشه من حزن وعدم تفهمهم لها لعدم سقوط دموعها،

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص 47.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص48.

إذ ظنوا أن أمها لا تعنيها بشيء، إذ هم لا يعلمون صعوبة ما تعيشه صديقتها، إحسان تشعر وتحس بما تعانيه صديقتها.

فهي بدل أن تذرف الدموع كانت تنزف دما من داخلها، وما زادها ألما وجرحا صديقة والدتها وكلماتها الجارحة في حقها إذ قالت للنساء اللواتي حضروا للعزاء «**المسكينة- تقصدني- أنها لا تعرف حتى كيف تبكي**[1]» فلشدة الصدمة لم تقو حتى على البكاء فالدمع قد جف، والدموع ليست معيارا للحزن إذ تقول زينب: «**أنا لست قاسية القلب ولا فاقدة للإحساس.. أنا.. أنا ببساطة لا أملك دموعا وهل هناك أفقر من فتاة لا تملك دموعا تنفس بها عما غزا نفسها وروحها من أسى وعذاب.. وارحمتاك يا رب..**[2]».

كانت تحسسها دائما أنها السبب في وفاة والدتها، فكانت تتلفظ بكلمات جارحة، حتى أوقفتها زينب قائلة «**كفى.. توقفي.. أتريدين مني أن الحق بها حتى تستريحي؟ أنا المذنبة.. أنا السبب في وفاة أمي.. أنا من تركتها ذات يوم وسافرت مع والدي.. أنا من تخليت عنها.. أنا أناا من قتلت أمي هل يكفيك هذا؟**[3]» فهي في الأول كانت تلوم نفسها على وفاة أمها ليضيف مقالته ندى قوة ذلك الاحساس إلى أن سقطت على ركبتها منهارة، فتتقدم نحوها إحسان لتضمها إليها وتنهار زينب لكن بدون دموع لتخبر صديقتها أنها صحيح لا تستطيع البكاء لكن ما تذرفه هي دما كل ليلة على فراق أمها التي أخذت معها روحها لتغادر تلك النسوة معهم ندى بعد الكلام الذي قالته زينب.

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص 48.

[2] المصدر نفسه، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص 50.

في يوم غد تذهب زينب إلى المقبرة لزيارة قبر والدتها، ويذهب معها أمجد وإحسان بعد رؤيتهم لحالتها المتدهورة خاصة بعد الكلام الذي سمعته من صديقه والدتها، حكت زينب مع قبر والدتها واسترجعت مع أمها ذكرياتها عندما كانت صغيرة، تقول «**كنت جالسة هنا معك أعبث بالتراب.. كما كنت أفعل حين كنت صغيرة.. وأنت تراقبينني باهتمام كبير بما أفعله رغم سذاجته ثم قلت لي:**

هذا التراب

مني ومنك..

وأوشك أن أضمه

كي أضمك[1]».

تسرد زينب على نفسها حالتها، وألمها على فراق أمها وكيف هي وحيدة بدونها وتحكي شعورها بالحزن والأسى، لتنوب إحسان مرة أخرى وتشرع في السرد، بدأت بتألمها على الحالة التي وصلت إليها صديقتها بعدها ليعودوا إلى المنزل، ليجد أمه أم أمجد في المنزل والتي لأول مرة تتعرف إحسان عليها فوجدت أنها امرأة عطوفة رحيم وحنونة على زينب إذ حاولت أن تخفف عنها ألم الفراق والحزن. لكن ذلك أيضا دون جدوى فزينب أصبحت حبيسة للذكريات ولم تعد لها شهية ولا في النوم فكانت حالتها كل يوم تزيد سوءا وتتدهور فتقول أم أمجد لإحسان أن زينب «**المسكينة..**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص53.

لقد عانت كثيرا في طفولتها.. وها هي تعاني أيضا وكان الشقائق قد كتب عليها منذ ولادتها.. ترى كيف ستتخطى هذه المصيبة؟[1]».

فزينب منذ طفولتها تعيش ذكريات سيئة، وموت أمها حطمها وجعلها فتاة تعيسة غير محبة للحياة حبيسة جدران غرفتها، رافضة الأكل والشراب كأنها تريد الانتحار والذهاب عند أمها فإنها لا ترى لها أي مكان في هذه الحياة، والحالة الصعبة التي فيها جعلت أمجد وإحسان بأنها لابد منها الخروج من تلك القوقعة وأيضا لابد الآن أن يصطحباها معهما إلى فرنسا وإلا سوف تنهار كليا، فحاولوا كثيرا اخراجها من ذلك الوضع الذي هي فيه لكن دون جدوى لأن الحزن قد تغلغل داخلها، فغدت جسدا بلا روح، قال أمجد وهو حزين على حالتها « **لن نبقى كثيرا فحالة زينب تسوء يوما بعد أخر، ولابد من مغادرة هذا المنزل كي لا تتعقد الامور أكثر مما هي عليه.. سنعود إلى فرنسا في نهاية الأسبوع[2]**» إلاّ أنها حينما سمعت قابلت ذلك بالرفض قائلة: «**أنا.. أنا لن أذهب إلى أي مكان.. سأبقى هنا قريبة من أمي[3]**» حاولوا معها كثيرا لكن لم يتغير رأيها أبدا حتى عمتها لم تستطع، فهي أصبحت ترى كل شيء سواد فهذا حال فقدان شخص عزيز، فقدت الأمل في الحياة ولم تعد ترغب في مواصلة تحقيق حلمها الذي سعت إليه وهو أن تصبح محامية ناجحة فتقول إحسان في حوار معها «**زينب.. ماذا عن حلمك ماذا عن دراستك وعملك كمحامية الم تخبريني أن هدفك هو أن تكوني محامية ناجحة؟[4]**» وهنا لم تكن تعلم أنها فتحت جراحا كانت مخبئة؛

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، المصدر نفسه، ص 55.

[2] المصدر نفسه، ص56.

[3] المصدر نفسه، ص57.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

«المحاماة، هل تعلمين إذن لماذا أردت أن أكون محامية.. ألم تسألي نفسك هذا السؤال؟ فردت إحسان اا.. لكن نحن نشترك في الحلم نفسه..[1]».

فزاد صراخها وقالت **«والدك أنت هو ما شجعك على المضي قدما نحو تحقيق حلمك.. لكن والدي.. هو من دفعني لأصير محامية دون أدنى قصد منهم.. جراء معاملته السيئة لأمي.. عندها فقط قررت أن أكون محامية فأرد لأمي حقها وإن كنت لا أستطيع تغيير الماضي.. على الأقل أمنع أي مما حصل أن يحدث ثانية لقد ظلم أبي أمي كثيرا..[2]»** وهنا كانت الكلمات سهاما قاتلة، وذكريات مؤلمة، من جبروت وقسوة الأب على أمها أمام عينيها، هذا ما جعلها تدرس المحاماة لاسترجاع حق أمها، أرادت أن تجعل الحاضر مغايرا، وأن تمنع حدوث نفس الشيء مرة ثانية.

صدمت عمة زينب وإحسان مما قالته وبقيتا تنظران إليها حتى سقطت أول دمعة حارقة في وجه زينب بعد وفاة والدتها، واصلت الحديث كيف غادرت المنزل وهي صغيرة تحت أنظار أمها الباكية وودعتها وقلبها يتمزق عليها ونار الفراق تشتعل فيها، فما أصعب هذا الشعور عليهما، فهذا سبب دخولها المحاماة لكنها الآن لم تعد تهتم لذلك، فقد ذهب من كان يدفعها إلى ذلك، لهذا لن تعود إلى فرنسا، بقيت في منزل أمها، وعاد كلّ من أمجد وإحسان إلى فرنسا حتى والدة أمجد عادت إلى منزلها بعد مكوثها لأيام معها، لتبقى زينب مرة أخرى وحيدة.

أظفر هنا التناوب في السرد أو في فن الحكي الذي كان متقن جدا من خلال تظافر الشخصيات وتداخلهم في حبكة الرواية أعطى توافق وهذا ما يجعلنا نغوص في القصة التي ترويها كل شخصية في الرواية، وكذلك الأدوار المتقنة فإحسان التي تسرد حالة صديقتها الصعبة على

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص57.

[2] المصدر نفسه، ص58.

لسانها بإعطائنا رؤية لما تعيشه من أحداث، ثم زينب التي تخبرنا عن حالاتها صعبة وأحزانها والأمها التي هي فيه وعن طفولتها القاسية وعلى فقدان أمها مناظرة صديقه أمها القاسية لها، نجد كذلك تدخل ابن عمتها أمجد من خلال مواساته لها واخباره أنه معها ، وكذا أم أمجد الطيبة التي تتمنى أن تتجاوز زينب هذه الفترة الصعبة وتعيش حياة يغمرها الفرح والأمل في غد أفضل, كل هذه الشخصيات مساهمة في انجاح تقنية التناوب في الرواية.

في أحد الأيام بينما زينب تردد في ذهنها آخر ما قالته أمها قبل وفاتها **«لا تجعلي حياتك عدما»**[1] قررت أن تتخلى عن الأحزان وأن تتقدم وتتحدى الظروف وأن تكون فردا فعالا في المجتمع ومنها بدأت طريقة نظرتها إلى الحياة تتغير فتقول غريبة هذه الحياة تسعدني لحظة لتحزنني لحظات وتمن عليّ بشيء من الدموع وعبر بها عما يختلج داخلي.

لتبدأ مرحلة أخرى بعودة زينب إلى فرنسا بعد وصية أمها لها بأن لا تجعل حياتها من عدم وأن تكون لها بصمة في الحياة، وأن تكون ناجحة فتقول: **«الأرجح أنها كانت كلمات أمي الأخيرة.. نعم أمي.. سأفي بالوعد الذي قطعته لك. لن أجعل حياتي هباء منثورا.. ولن أجعل وجودي عدما..**[2]**»** وهكذا غادرت زينب وحدتها وضعفها الذي كانت فيه، وصلت إلى فرنسا واتصلت بإحسان أمجد أخبرتهم بعودتها؛ **« عند وصولي إلى مطار شارل ديغول الدولي اتجهت إلى اقرب مقصورة هاتفية واتصلت بأمجد وإحسان وأخبرتهما بأمر عودتي**[3]**»** ففرحا كثيرا بلقاء بعضهم وبكت إحسان وهي تعانقها وبعدها ركبوا السيارة وغادروا المطار فحل الصمت عليهم، ثم تذكرت أن هذه عودتها الثانية بعد أن تركت أمها أول مرة، ها هي أيضا المرة الثانية، لكن هذه المرة إلى

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص62.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الأبد، شعور قاسي أن تعيش يتيمة للمرة الثانية «**تذكرت فجاه أنني اعود إلى فرنسا للمرة الثانية يتيمه، اليتم شعور كنت قد جربته قبلا بالتحديد في اليوم الذي أتى بوالدي هنا..**[1]» فشعورها هذا المرة الثانية صعب جدا بعد أن يتمها والدها في الحياة، بعدها لاحظ أمجد سكوتها طوال الطريق فسألها أن كان هناك شيء فقالت «**لا.. لا شيء تذكرت امر فقط.. لا تكترث**[2]» وهكذا حتى وصل إلى بيت إحسان والتي جلست عندها عدة أيام حتى تحسنت نفسيتها وأصبحت في أحسن حال.

عادت زينب إلى منزلها وقررت أن تكلم والدها وتخبره عن وفاة أمها إلا أنه لم يعرها اهتماما، بل رد عليها بكلام قاسي، يخبرها فيه أنه يكره جميع نساء العالم، ولا يود أن يتكلم مع أي واحدة منهن حتى ابنته، كلامه القاسي أرجعها مرة أخرى إلى حالة الأسى والحزن والألم؛ «... **رجعت إلى شقه مثل السابق إلى أن قررت الاتصال بوالدي واخباره عن وفاة أمي.. وفعلا اتصلت لكنني لم أخبر.. بل حتى لم يعطيني فرصه للكلام.. كل ما قاله هو أنه يكره جميع نساء العالم، ولا يريد التحدث مع أي واحدة من بنات حواء أبدا الدهر، فبعد مكالمتها معه أصبحت شخصا اخر تماما تغيرت عاداتي كثيرا وصرت أفكر في الموت والانتحار.. ومشجع تلك الأفكار في رأسي الفراغ الرهيب الذي كنت أعيشه..**[3]» لتفضل البقاء وحيدة.

بعدها تحكي لنا مشاهدتها هي وإحسان لبرنامج الأطباء الفرنسي ، ودخولها مع إحسان في مناقشة حول الفرق بين الضحية و المجرم، فتقول إحسان أن الفرق بينهما « **كالفرق بين السماء والأرض**[4]» إلاّ أنّ نظرة زينب بعد وفاة أمها تغيرت، فهي ترى أنه لا فرق بين المجرم والضحية، لأن المجرم في نظرها كان ضحية يوما ما لشيء جعل منه مجرما فتقول: «**لا فرق بين المجرم**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص 63.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص63_64.

[4] المصدر نفسه، ص64.

والضحية، فلو لم يكن المجرم ضحية لجناية سابقه في حقه ما كان له أن يصير مجرما قط، واتخذ من الجريمة مبدأ يسير عليه[1]»، اندهشت إحسان من نظرتها وكيف بدأت تفسر الأمور وأنها تغيرت عما كانت عليه فهذه الصدمة قد جعلت منها شخصا آخر.

ثم تبدأ رحلة زينب في البحث عن فلان أجرم في حق ذاته وهو في مقتبل العمر فتقول: **«كثيرا ما أقرأ في الجرائد أنّ فلان أجرم في حق نفسه، وأتعجب أيّما عجب حين يكون "المجرم الضحية" في مقتبل العمر، زهرة فواحة نضرة، تجهز على نفسها ضمأ..[2]»**. فكانت ترى المجرم ضحية مثل زهرة فواحة نظرة الجمال.

وهذه ميزة في التناوب السردي أن تجعل الطبيعة جزء من كيانها وكأنها تحكي حزنا وتعبر به عن طريق الطبيعة عن زهرة لامعة الجمال كيف أنها تخلق من تراب وتموت في التراب بكبرياء لا بضعف فتقول **«ستموت شامخة ستموت واقفة بماء مسموم تسقى به وكأنها تقول سأعلمكم كيف تموت الأزهار واقفة فمثلي لا يمكنها الذبول[3]»** أي أن المجرم الضحية يفضل أن يموت بنفسه لا يريد أن يقتل على يد شخص أو على يد الظروف يريد أن يموت شامخ ففي نظرته هذه عزة، أو انتصار إنما في الحقيقة هو ضعف وانكسار فالموت بيد نفسه جريمة.

ترى علامات التعجب على وجه إحسان التي تعجبت من حال زينب كيف أصبحت فقد تغيرت كثيرا طرحت زينب على إحسان سؤالا مفاده **«ما الذي يدفع شابا في زهرة شبابه للانتحار شنقا حتى الموت فأجابت بنفسها دون انتظار للجواب، إذا بدأت في تخيل الأسباب فقالت ما الذي يدفع شابا في زهرة شبابه للانتحار شنقا حتى الموت فيرد علماء النفس ذلك إلى إنه انسان**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص64.

[2] المصدر نفسه، الصفحة65.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

غير سوي فيقول علماء الأعصاب بأنه خلل في جهازه العصاب اما علماء الدين فيفسرون على إنه ضح في الوزع الديني وعدم ايمان بالقضاء والقدر وأرى من جهتي بأن ذلك الفعل ما هو إلا تحقيق لرغبة عارمة في التملك أن يكون لك وحدك الحق في وضع حد لحياتك أن لا تقتل على يد أحد الا يدك وذلك اسوا جرم اما قمه الاجرام واوجه فهو أن يجرم شخصا في حق نفسه[1]».

ترى زينب أن كل ما قاله رجال الدين وعلماء النفس وعلماء الاعصاب عن المجرمين غير حقيقي، لأن عمل المجرم ليس الا محاولة لأنهاء حياته بنفسه، فهو لا ينتظر من أحد أن يقوم بذلك. وهذا في نظرها أسوء اجرام أن يجرم الانسان في حق نفسه. فتعطي ذلك أمثلة عديدة حدثت في الحقيقة. مع أكبر شخصية في العالم مثال على ذلك «**ما فعله هتلر من جرائم وسبب ذلك أن اسم الذي أطلق عليه "مجرم حرب" لم يعجبه فوضع حدا لحياته، كما نجد كذلك مارلين مونرو والتي كانت حسناء الفتيات في زمانها وضعت حدا لحياتها بسبب كبر سنها، وحتى نجد نيتشه انتحر وأرنست همنغواي رغم أنهم علماء وفلاسفة معروفين في العالم[2]**» لتجيبها إحسان «**تعسا لهم ولحكمهم وارى من هو أفضل ولا أحوج للحكمة منهم اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً[3]».**

بعدها غادرت منزل زينب والدهشة على وجهها والتساؤلات تدور في رأسها ما الذي يدفع صديقتها أن تفكر في الانتحار والموت وعن السبب الذي يدفع الشباب إلى الانتحار إذ قالت: «**الشيء الذي كان يفقدني صوابي فهو رؤيتها لمن أجرم في حق نفسه ووصفها بأنه رغبة في**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص55.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص65_66.

[3] المصدر نفسه، ص66.

التملك[1]»، فهذا الشيء قد حيرها وزاد من مخاوفها على صديقتها التي تحبها كثيرا لقد غدت تشعر بالذنب على أشياء لا دخل فيها إنها تكره نفسها، فبعد ذلك الكلام بقيت إحسان تفكر بأن زينب لابد من أن تعالج عند طبيب نفسي لأن حالتها كل يوم تزداد سؤال وهذا ما جعلها تطلب منها زيارة الطبيب رغم أنها رفضت، إلا أنها بعد ذلك نجحت في إقناعها فقالت: «**ذهبنا سوية إلى العيادة وقابلت الطبيب وأخبرته عن خلع أمي لأبي وعن وفاتها[2]**» فوصف لها بعض المهدئات لترتاح عليهم وأوصاها بممارسة الرياضة ولقاء الأصدقاء المقربين، والذين ترتاحوا في صحبتهم وقدم لها نصيحة ثمينة قال لها أن تجعل الكتابة صديقة لها، تكتب كل ما يجعلها حزينة وكئيبة فتستطيع الخروج مما هي عليه، وتعويض الكتاب بالدموع الحبيسة داخلها؛ «**الكتابة عليك بها اعتبريها تعويض عن عدم القدرة على البكاء ابدئي بكتابة يومياتك سيساعدك ذلك على تخطي اكتئابك[3]**» فعلا كتابة اليوميات شيء مريح يستطيع الانسان بها التخلص على العديد من الأشياء والتراكمات الداخلية.

نجد التناوب في هذه المرحلة أفاد في جعل زينب تسرد حالتها التي حاولت تجاوزها بتحقيق الوعد الذي قطعته لوالدتها ورجوعها إلى فرنسا ورؤية أصدقائها، كذلك ذكرها لذكرياتها مع أمها وألمها بعد حديثها إلى والدها الذي كان السبب في عودة حالتها إلى نقطة الصفر إلى درجة أنها فكّرت في الموت والانتحار، وهذا ما جعلها تتذكر العديد من الشخصيات التي حاولت الانتحار. كذلك ذكرها للطبيعة مثل الزهور ذات الكبرياء، بعدها نجد التناوب في نظرة إحسان لصديقتها في حالة الصدمة مما حدث لها حتى أصبحت بهذه الحالة وخوفها عليها ومحاولة مساندتها بجعلها

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص67.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص68.

تزور طبيبا نفسيا لتخفف عنها، لكن هذا ما جعلها تتذكر كل ذكرياتها السيئة وازدادت حالتها سوءا، والعودة على حالة نقطة الصفر من جديد.

بعد عودتهما أخبرت زينب أمجد أن الطبيب شخّص حالتها، وقال بأنها تمر بمرحلة اكتئاب حاد، ليطلب منها التجمع في منزله للترفيه، إذ يقوم بالعزف بالبيانو الذي هو هوايته المفضلة وهما يستمتعان بعزفه الجميل ؛«**كان أمجد يعزف على البيانو وأنا وإحسان نستمع إليه بإنصات ومتعه كبيرة**[1]» إلى أن طلبت منه إحسان العزف ليرفض أمجد ذلك بشدة فتتفاجأ من رفضه وتسأل زينب إذا كانت هذه طبيعة كل الجزائريين، فابتسمت زينب وأجابتها باستحضارها حادثة تاريخية وهي هجوم فرنسا على الجزائر وحجتهم في ذلك حينما قام الداي حسين بصفع القنصل الفرنسي؛«**استفز ذلك القنصل الداي حسين فقام هذا الأخير من مجلسه وصفعه بالمروحة التي كانت في يده**[2]».

لتقوم هي بتمثيل ذلك المشهد، لتستنتج إحسان بعد هذه الإجابة أن العصبية متوارثة عبر الأجيال، يعود أمجد وعلى وجهه أثار الحزن، فقد تذكر حادثة صديقه سيدي علي « **كان جليا لي أن أمجد قد تذكر صديقا له سيدي علي كان يدرسان مع بعض في المعهد الموسيقي وتطورت صداقتهما إلى ابعد ما يبلغ الصديق من صديقة**[3]»، إلى أن أتى يوم أعلن المعهد اقتراب تصفيات مسابقة وحضور أشهر العازفين والموسيقيين، فقررا المشاركة كان أمجد عازف لعدة آلات موسيقية أما سيدي علي كان أمهر الطلبة في العزف على البيانو، وفي يوم التصفيات حينما كانا يتمرنان على المقطوعات تم الهجوم عليهم من طرف مجموعة من الشباب المغاربة وقاموا بما هو أشد من القتل فقد كانوا يعلمون نقطة ضعف سيدي علي ألا وهي البيانو فتقول «**على مرأى من أمجد قام**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص68.

[2] المصدر نفسه، ص69

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

شاب مغربي من تلك العصابة وحمل مطرقه حديديّه صغيرة وبدأ في كسر أصابع صديقه واحدا تلو الآخر وهو يتلوى من الألم حتى كانت عشرة كاملة.. وغادروا..[1]»، قضوا المسكين على حلمه الذي كان شغفه منذ الطفولة أن يصبح عازف بيانو مشهور.

أصيب أمجد بعد ذلك بصدمة نفسية كبيرة منعته من العزف جراء انتحار صديقة المقرب بسبب ما حدث له فقالت «**فهذا الأخير لم يتحمل فكرة أن يبقى على قيد الحياة يرى البيانو أمامه لكنه عاجز عن العزف عليه أبد الدهر..**[2]» وقد قام بترك وصية قبل فعلته تلك أن لا يدع يد مغربي تلمسه وهذا سبب منع أمجد إحسان من لمس البيانو وفاءا لوصية صديقه.

أفاد التناوب في هذا الجزء من الرواية في تعدد الأصوات والشخصيات والحكايات إذ قامت زينب بسردي قصة الشخصية التاريخية الداي إحسان والقنصل الفرنسي، وحادثة أمجد وصديقه التي تعددت فيها الأصوات تبعا لتعدد الشخصيات التي خلقتها المبدعة إذ أعطت لكل شخصية قصة تسردها.

بعدما عادت زينب إلى منزلها، ذهبت مباشرة إلى ركنها الخاص الذي كانت تستخدمه للصلاة والتأمل والقراءة، أما اليوم قررت إضافة عمل آخر له وهي الكتابة، وحينما بدأت الكتابة استولت ذاكرتها على الأحداث الماضية فتقول «فما إن رفعت قلمي وبدأت في الكتابة حتى استولت ذاكرتي على جميع حواسي»[3]، حيث تذكرت كيف كانت تراسل والدها حينما كانت صغيرة، فكانت أحيانا تكتب له رسالة عتاب على غيابه الطويل، وتارة أخرى على شوقها وحبها له مطالبة إيّاه

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص70.

[2] المصدر نفسه، ص71.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالحضور لرؤيتها هي وأمها، وغالبا على كل جديد في حياتها إذ تقول «**كنت لا أخفي عن والدي أي شيء.. في الوقت الذي كان هو لا يعلم عنا أي شيء**[1]» فقد كان حبها لوالدها كبيرا جدا.

كانت الذكريات تلاحقها كالسراب، فتذكرت في ذات المساء كيف كان لديها مكان في منزل أمها في غرفة الضيوف تكتب وترسم له كل تفاصيل يومياتها وحياتها وتجعل أمها ساعية البريد فتقول «**كانت أمي هي ساعية البريد فترسل الرسائل وتأتيني بردود والدي.. كنت أشعر بمتعة لا توصف أثناء الكتابة وسعادة أكبر حال استلام الرد من والدي..**[2]»، وفي يوم وهي تنتظر الرد رأت والدها أمامها واقفا عند باب المنزل فهي لم تكن قد التقت به إلا مرة واحدة منذ عامين في كل صيف، لم تتمالك نفسها من شدة الفرح فجرت نحوه وعانقته بكل قوة، كانت عيونها تعاتبه على الفراق وتركها هي وأمها بينما هو اكتفى بتقبيلها قبلة واحدة على الجبين فتقول «**كانت عيوني الباكيه ملأى بالعتاب الكثير، كنت أضم والدي إلي بشدة، بينما اكتفى هو بطبع قبلة على جبيني وأنتهى..**[3]»، أحست هي بغرابة من والدها الذي لم يبدلها نفس المشاعر، إلا أنها لم تعي ذلك فهي كانت صغيرة.

نادت بقوة على أمها لقد عاد أبي يا أمي تعالي بسرعة، فأمي كانت تجلس في غرفتها تقرأ سورة الكهف لآنه يوم الجمعة، لم يلقي والدها السلام بل اكتفى بالقول «**ما هذا يا فاطمة**[4]» فمسك الورقة بيده فأجابته ألقي السلامة وهو الذي لا يعرف السلام ولا يفقهه «**وما الذي يفقهه والدي في الإسلام، أنا لم أره يصلي ولو لمرة في حياته**[5]» فهو كان مدمن الخمر لا يستطيع الاستغناء عنه.

---

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص72.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص73.

[5] المصدر نفسه، ص74.

كان ينظر أبي إلى أمي نظرة يملأها الغضب والكره ويخبرها أنها لم تترك له فرصة التحية وأن لا تمثل دور الانسانة البريئة، كان يعاتبها على الرسالة التي راسلتها له، والتي كانت زينب لوهلة تضن أنها رسالتها التي أرسلتها مع أمها كعادتها فهي ظنت أنه تعصب منها حينما قال «... **ماذا تقصدين وراء ارسالك لهذا..**[1]» فعند تفكيرها من أجل رسالتها تحطمت وملأ وجهها الحزن، فأخبرته أن هذه الرسالة لها وأنها هي من كتبتها وأرسلتها مع أمها كالعادة، فانصدم هو حينما سمعها وعلامات استفهام في رأسه فتقول «**أنا كتبتها وطلبت من أمي ارسالها اليك.. كما نفعل دائما.. اقترب مني والدي قائلا: لكن ماذا تقصدين؟**[2]» تدخلت أمها لأن تفهم زينب ما الذي يحدث، أن يأتي معها إلى الغرفة لتكمل حديثها معه بعيدا عن مسامع زينب، والذي اقترب منها لكي يفهم الموضوع الذي تتحدث عنه فأخبرته بالطاولة التي كانت تكتب عليها تلك الرسائل التي ترسلها مع أمها له فتقول «**أشرت بيدي إلى الطاولة التي اكتب عليها عاده، فاتجه نحوها وأخذ يقلب الأوراق واحدة تلو الأخرى ويقرا رسائلي له وكأنه يقرأها لأول مرة بتعجب وبدهشة بالغين..**[3]».

تلك الرسائل التي وجدها لأنه لا يعلم عنها شيئا، تغيرت ملامح وجهه وبدأ بتحطيم تلك الطاولة ما جعل زينب تصاب بحالة فزع وخوف وتختبئ في حضن أمها من الخوف الذي كانت فيه، فتقول زينب «**لا.. لا تدعيه يؤذيني يا أمي.. أنا خائفة جدا.. أرجوك**»[4] فخوفها منه غير مبالغ فيه لأنه دائما عندما يأتي إليهم يتشاجر مع أمها ويقوم بضربها وهو في حالة السكر، وبعدها في الصباح يقوم بالاعتذار والذهاب إلى فرنسا، والدتها كانت غير راضية على رؤيته ولا عودته

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص74.

[2] المصدر نفسه، ص75.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إليهم لأنها لا تتحمل مزاجه المنقلب، وعودته ثملا كل ليلة، لكن سرعان ما تغير رأيها بسبب ابنتها فهي لا علاقة لها بما يحدث والتي ترى في عينيها حبها لوالدها. فصرخت فاطمة عليه ما ذنبها أن تخيفها هكذا فبدأت بعتاب عليه فتقول «**لا تأتي الينا نادرا وحينما تأتي تقلب حياتنا رأسا على عقب ثم تعود من حيث أتيت وكأنك لم تفعل شيئا نحن لا نريدك في حياتنا ولن نتحمل حضورك الغائب فيها، ألا تفهم ذلك**[1]».

الوجع الذي سببه والدها إلى أمها كبير فهو لم يكن زوجا صالحا محبا لعائلته بل كان رجلا سيئا ثملا وقاسي في أفعاله اتجاهها زوجته واتجاه ابنته وهذا ما جعلها تخبره أنها لا تحتاجه في حياتها ولا حضوره الغائب فيها، لكن زينب لم يعجبها كلام أمها لوالدها فأخبرت أمها لماذا هذا الكلام ولم تكمل حديثها حتى رأت والدها يتجه نحو أمها ويمسكها بقوة وأخذها إلى الغرفة لاستكمال الحديث بعيدا عن زينب «**تقدم نحو أمي وأخذها بقوة من ذراعها يجرها إلى غرفتها وأغلق الباب.. تبعتهما وأخذت أطرق الباب بقوة ضربته وركلته وما من فائدة..**[2]».

كانت تسمع الصراخ والشجار الذي كان يحدث بينهما، لكن دون أن تفهم الكلام القائم وهي في حالة بكاء، فغادرت إلى غرفة الضيوف وهي تبكي، وقعت عينيها على الورقة التي كان يحملها والدها فأخذتها وقرأت ما في داخلها فوجدت أنها ورقة طلاق فصدمت مما قرأته فهي لم تتوقع في حياتها أن يحدث شيء كهذا فتقول «**صدمت.. أمي تطلب الطلاق من أبي؟ رغم كل المشاكل وبينهما إلا أنني لم أتخيل أن تصل إلى «الطلاق أو أنها يئست من والدي لتلك الدرجة..**[3]» فهي لا تريد أن تنهار عائلتها رغم المشاكل التي تحدث، ولا ذهاب والدها إلى الأبد لأنها تحبه كثيرا،

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص76.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

حملت الورقة وذهبت إليهم فسمعت والدها يصرخ على أمها ويقول كيف تتلاعبين بمشاعرها فهي صغيرة على هذا فترد أمها عليه بقوة «**أنت لا تبالي بمشاعرها ولا يهمك أمرها، فأنت لا تشاهد ما الذي حدث لها وما الليالي التي تقضيها هي بجوارها وليس هو وأنها هي التي تتعذب من أجلها كلما تناديك ولم تجدك فكيف كانت تتنحل صفته وتقوم بالرد على رسائلها فهي حملت مسؤولية أن تكون الأب والأم كل هذا الوقت**[1]»، لتتصدم هي مرة مما سمعته وخيبتها الكبيرة فالرسائل لم تصل إلى والدها وأمها من كانت ترد عليها وكم قاسي هذا الشعور وبدأت البكاء وسألت أمها «**لماذا يا أمي.. كذبت علي.. أنت لا تحبينني.. لماذا جعلتني أتعذب هكذا.. لماذا.. آآآه**[2]».

وأخذ البكاء مسيطرا عليها، وذهبت إليها أمها وحضنتها بشدة وأخبرتها أن ما فعلته كله من أجل مصلحتها فتقول «**كل ذلك فعلته من أجلك أنت زينب.. حبي الشديد لك ما دفعني لذلك، لم أستطع رؤيتك تنهارين أمامي.. وأبقى مكتوفة اليدين لا افعل شيئا.. افهميني أرجوك..**[3]» وكم حب الأم الوحيد الأبدي وبدون أي مقابل مستعدة أن تضحي بنفسها من أجل ابنتها الوحيدة، ولكي لا ترى أي دمعة منها.

فسكتت لوهله ثم سألتها عن والدها الذي غادر دون أن يراها أو يودعها وسألتها هل سوف تتطلق من أبيها لتقوم والدتها بالإجابة أن كل ما تحملته كان من أجلها كي لا تنهار وتتشتت عائلتها لتسألها زينب هل تستطيع التحمل أكثر فتجيب «**المزيد هذا كان منذ مدة الآن لم يعد مزيدا الآن أصبح إهانة منه وخنوعا مني لقد أصبح الوضع لا يحتمل ولا يطاق**[4]» لقد امتلا قلبها من كثره ما تحملته من حزن وألم وكثرة الشجار والضرب الذي تتعرض له منه من قساوة قلبه عليها

[1] ينظر، أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص78.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص79.

لتقول زينب لها أن تعامله معها يظهر كل شيء «**فتجيب وليدتها أن هذا قد حدث بسبب الخمر فحينما تزوجته كان أطيب انسان وأروع زوجا فهي لم تدرك أن المال يمكن أن يغير الانسان لهذه الدرجة وأن الغربة تجمد القلوب فعندما كان هنا كان زوجا مثاليا ورائعا تحسدها كل النساء عليه وعلى حبهما الشديد لبعضهما لكن عندما غادر إلى فرنسا أصبح انسانا آخر وهذا كله عندما نجح في صفقة تجارية كبيرة وأصبح رجلا ثريا وعاد بعدها إلى الجزائر علمت أنها خسرته إلى الأبد فلقد تغير كثيرا وطباعه أصبحت أكثر حدة وأشد خطورة**[1]» لتفهم زينب أن أمها تقصد بأنها لم تنتبه عليه الا بعد فوت الأوان وقصدها من فوات الأوان هو ميلادها إذ لربما تطلقت منه وأعادت بناء حياتها من جديد الا أنها لم تستطع أن تستغني عن جنينها الذي ينبض في احشائها.

أفاد هنا التناوب الحاصل في رجوع زينب إلى ماضيها الأليم عند الكتابة وتصوير الواقع الذي كانت تعيشه هذه الشخصية البطلة مع والدتها فكم كان الأمر مولعا حيث أدركت الحقيقة أن والدها لم يقرأ يوما رسائلها، بل أمها من كانت ترد عن رسائلها لأنها تدرك أنه لن يقرأها إن وصلت إليه.

ثم فجأة مسحت زينب هذه الذكريات الحزينة والمؤلمة التي عاشتها في طفولتها عندما حاولت الكتابة كما أخبرها الطبيب. فهي لم تكتب شيئا في الصفحة الأولى من ذلك الدفتر فعندما تحاول الكتابة يأتيها شريط الذكريات الحزينة فتسوء حالتها وتصبح غير قادرة على الكتابة أو التفكير. فتركته وغادرت إلى النوم.

نامت لساعات طويلة دون أن تشعر بأي شيء حولها. وعند استيقاظها من النوم لم تستطع تناول أي شيء أو الكلام مع أحد لأن شبح الذكريات لا يزال مسيطرا عليها، فهي لا تريد التحدث

[1] ينظر، أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص79.

مع أي أحد حتى إحسان أو أمجد ولا تريد فعل شيء غير أن تبقى وحيدة، ولسوء حظها لم تمنع نفسها من التفكير في أمها خاصة لحظة أخذ والدها لها معه بعيدا عن أمها فتقول «**لم أستطع منع نفسي من التفكير بأمي.. تذكرتها.. تحديدا في اللحظة التي جاء والدي لأخذي.. وقتها لم أكن افهم شيئا مما يحدث حولي.. كيف لي ذلك وعمري لم يتجاوز الثانية عشرة**[1]».

ليواصل شريط ذكرياتها مرة أخرى مع والدتها التي حاولت كثيرا الطلاق من والدها الذي كان رافضا لتلك الفكرة. رفضا قطعيا وحاول جاهدا في ايقاف ذلك ليس محبة منه إنما ظلما، فقام برشوة كل المحامين الذين لجأت إليهم، إلا أنها والدتها عزمت حتى قامت بخلعه وفيه تنازلت على كل شيء ما عدا ابنتها الوحيدة التي تراها أملها فتقول زينب «**استجاب الله لدعوات أمي واستطاعت أن تخلع أبي متنازلة له بذلك عن كل شيء**[2]» وأي شيء عداي وكانت تعتبرني أملها الوحيدة الذي من أجله ستقاوم كل شيء فهذه هي أمنيتها بالبقاء مع ابنتها دون رؤيته ولن تضطر إلى العيش تحت سقف الذل والمهانة وهذا ما أدركه والدها أنها أصبحت شيء لا يخصه من تلك اللحظة التي خلعته، وأخذت حريتها التي سلبها إيّاها وهذه أكبر إهانة تعرض لها في حياته وهذا ما جعله ينتقم منها على ما فعلته شر انتقام بأخذه زينب منها فهي الشيء الوحيد الذي تمتلكه وقام ذلك بالرشوة والخداع وفعلته هذه كانت قاسية وأليمة عليهم فتقول «**وبطريقة أو بأخرى احتال والدي على أمي مستعملا نفوذه وبخسها حق حضانتي وصرت ملكا لأبي منذ ذلك اليوم تحديدا منذ تلك اللحظة التي أتى فيها والدي برفقه محامية الخاص لأخذي من المنزل..**[3]».

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص80.

[2] المصدر نفسه، ص81.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أخذها والدها معه بعدما اكتسب حضانتها عن طريق الاحتيال وهذا الخبر نزل على والدتها كالصاعقة والمسكينة التي لم تملك شيء غير البكاء والدعاء واحتضان ابنتها بشدة فلا قوة ولا حول لها أمام هذا الكائن القاسي فتقول «**طرح المحامي الأوراق التي تثبت ما جاء بوالدي من أجله أمامها على الطاولة ولم تملك أمي فيها البكاء والدعاء واحتضاني**[1]» فحينما أخذها لم يشفع له لا بكاء ابنته أو صراخها بعدم الذهاب وترك أمها وحدها فهي لا تريد الرحيل وهذا ما جعلها تبكي بحرقة كبيرة وتخبر والدتها أنها ستكبر وتعود قويه وتصبح محامية وتأخذ حقها منه.. فتقول «**وأنا أبكي بحرقة قائلة: أمي سأعود إليك.. سأكبر وأصير محامية وأدافع عنك.. لا تحزني أبدا يا أمي**[2]». كانت هذه الكلمات أكبر من سنها ففراقها عن أمها كان كجسد بدون روح حيث أنها انهارت كثيرا على ذلك الفراق الذي حدث فهي تحب أمها كثيرا ولا تريد تركها أبدا.

منذ ذلك اليوم انقطعت الدموع عن عينيها ولم تعد تسيل أي دمعة منها فتقول «**منذ ذلك اليوم أصبحت عصية الدمع لا ترى عيوني أبدا الدموع وكأنني قد عقدت اتفاقا معها ألا تزور مقلتي ثانية**[3]» عاشت زينب في بيت والدها الذي وفر لها كل شيء لتعيش حياة الرفاهية، إذ أن والدها كان يتمنى أن تكون زينب شاب تحمل ارثه عليه.

كان شوقها لأمها كبيرا فهي لم تغادر حضنها من اليوم الذي ولدت فيه لكن شاء القدر أن فرق بينهما والدها وبعد مرور عدة سنوات أصبحت زينب كبيرة وقادرة على التنقل والسفر وحدها إلى الجزائر بعد أن سمح لها والدها بذلك وكانت فرحة بلقاء أمها كثيرا والتي كانت تزورها كل صيف فحياتها في منزل والدها كانت من عدم فهي لا تتكلم مع أحد ولا وجود لمن ترجع إليه غير

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص82.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الله وحده «**فقررت أن تغير من حياتها بالتزامها للواجبات الدينية التي كانت ترى نفسها فيها أنها بخير حتى اقتنعت أن ترتدي الحجاب رغم رفض والدها المطلق له وبدأت تتأقلم مع فكرة العيش بعيدة عن أمها وذلك بفضل الله الذي كان عونا وملجا لها في حزنها فلولا الإيمان بالله لكانت فقدت حياتها وما زدها سوءا هو زواج والدها من امرأة أجنبية وعيشها معهما في المنزل نفسه والذي تزوجته من أجل أمواله وعقاراته وهذا كله حدث معه وهي في السن الثامنة عشر**[1]».

بعدها درست وتفوقت في دراستها ونجحت في شهادة التعليم الثانوي، واصرار والدها على دراستها في كلية التجارة والاقتصاد إلا أنها أصرت على دراسة المحاماة والتحقت بها وهناك التقت بإحسان لأول مرة وأصبحت مع مرور الوقت أعز صديقة لها كانت دائما ترى نفسها أنها سبب في حزن وتعاسة والدتها «**حقا غريب هو منطق الحياة وغريبة هي نفسي بل غريب هو كل شيء من حولي**[2]» فهي تعاتب الحياة على منطقها وعلى نفسها التي تسبب الأذى لها وعلى ما عاشته من حولها قسوة أب وفراق الأم حقا غريب كل شيء كانت جالسة كعادتها وحدها مع تعاستها وحزنها وذكرياتها التي لم تفارقها أبدا حتى سمعت دقات على الباب التي كانت وراءه إحسان لكنها رفضت أن تراها فهي تريد أن تبقى وحيدة مع حزنها واكتئابها وبقيت كذا لعدة دقائق ثم فجأة تسمع صوت الباب يفتح وبدأت بالخوف من فتحه ثم ثواني وتسمع صوت إحسان« **زينب هل أنت هنا؟**[3]».

تذكرت زينب أن إحسان تملك نسخة من مفتاح منزلها خوفا من شيء قد يحدث كما هو الحال عليه بعدها اتت إليها إحسان إلى غرفتها وراتها في حالة لا يرثى لها فصدمت من حالتها تلك وقالت لماذا وسألتها لماذا هذه الحالة وما به وجهها شحبا، فهي لم تتناول شيئا منذ أن كانت

[1] ينظر، أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص83.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص84.

في بيت أمجد. وهذا سبب تدهور حالتها كثير، كانت إحسان جد خائفة عليها وعلى الوضع الذي هي فيه. فزينب قد رفضت رؤيتها ورؤية أي شخص آخر. ودعتها إلى الرجوع من حيث اتت لترد عليها بشدة. «**لن اتحرك من هنا أبدا لن أتركك هكذا ستقتلين نفسك إذا استمريت في عنادك**[1]». فأخبرتها إحسان أن تحافظ على حالتها وأن لا تفعل لنفسها هكذا فهي كانت مصابة بدوران وغثيان شديد بسبب أنها لم تأكل شيئا منذ مدة فأتت إحسان ببعض الأطعمة لتأكلها من أجل أن تستعيد عافيتها.

بعدها تحدثنا إحسان على حالة زينب الغير مستقرة في الوقت الذي كانت تظن أنها بدأت بالتحسن إلا أنها زادت سوءًا، وعندما تناولها الطعام لمحت إحسان الدفتر الذي قامت بشرائه هي وزينب فأخذته ورأت أنه لا يوجد فيه شيئا مكتوبا، «**كانت حالة زينب غير مستقرة أبدا ففي الوقت الذي نعتقد في أنها بدأت تتحسن تعود وتصاب بنكسة أخرى اشد من التي كانت**[2]»، سألت إحسان زينب سبب عدم استخدامها للدفتر من أجل الكتابة كما أخبرها الطبيب. فتجيبها وتقول «**لا طاقة لي على كتابة حرف واحد فلا تسأليني عن السبب رجاءً**[3]».

ترى إحسان أن زينب كتومة جدا فهي كالصندوق المغلوق أو البئر العميق وهذا ما زادها حزن وألم فهو لا يتناسب مع وضعها الذي هي فيه. إذ حاولت التودد إليها من أجل أن تخرج لها ما في داخلها فقالت لها زينب «**في الوقت الذي تريني فيه أعمق فإنني أشد ضعفا مما تعتقدين.**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص84.

[2] المصدر نفسه، ص85.

[3] المصدر نفسه، ص86.

ومهما حاولت أن تساعديني فإنك لا تستطيعي والعتاب واللوم سيسبب لنا شرخا عميقا فعليك أن تتقبليني كما أنا تعيسة ومكتئبة[1]».

فأخبرتها إحسان أنها لا تريد أن تنسحب من حياتها وكأنها لم تكن جزءا منها فهي لا تستطيع أن تراها كذا ولا تفعل شيء أو أن تتركها تسقط من بين يديها فتقول لها «**إذ كنت لا تريدين التحدث كما تشعرين إذا كنت لا تريدين التحدث عما تشعرين به فلا تفعلي وان خطر ببالك في لحظة ما ذلك فكل أذان صاغية[2]**» فهي صديقة روحها وتتمنى أن تراها أحسن وأن تقف معها في كل حالتها هي تريد أن تكلمها وقت الذي تريد أن تفتح قلبها وإن لم تفعل فلن يحزنها ذلك فهي كل أمانيها أن تكون بخير.

أحست زينب بتأنيب الضمير وكم أنها أنانية في تعاملها مع إحسان التي تحاول بكل جهدها لمساعدتها للخروج فيما هي عليه رغم مزاجيتها وبعض الأفعال القاسية وعدم الكلام الكثير معها ولكن هذا بالرغم عنها فالاكتئاب والحزن الذي هي فيه هو ما جعلها هكذا فما حدث معها ليس بشيء بسيط وهين، بعدها تتركها إحسان لتعود وحدها مع غرفتها البائسة والتي تتذكر فيها أمها ووالدها الذي لا يبعدان عن مخيلتها. في صباح الباكر حينما استيقظت زينب تتذكر والدها ويبدأ يشغل كل تفكيرها ولا تعلم لماذا فقد مزقت معظم صوره التي وجدتها في منزل أمها ولم تترك الا صورة تجمعهما معا وتذكرت أيضا كيف أن والدها لم يبدي أي ردة فعل على مرض والدتها وكيف إنه قام بالدعاء عليها فقال «**فلتذهب إلى الجحيم[3]**»، أهناك جحيم أصعب من الذي عاشته معه لتقرر بعدها الذهاب إليه وتخبره عن وفاة أمها فهي أدركت أنه ليس له خبر.

---

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص86.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص88.

وهي تهم بالخروج تجد كلا من إحسان وأمجد أمام باب منزلها وأمجد الذي كان يحمل صندوقا كبيرا فأدخله إلى الداخل فدخل ثلاثتهم إلى الشقة ووضع أمجد الصندوق على الطاولة وبعدها سألها هل كانت تستعد للخروج فأجبته أنها ذاهبة إلى والدها فتفاجأ كلاهما من هذا الكلام لتخبرهم أنها تريد اخباره عن وفاة أمها ولكن إحسان لم تعجبها الفكرة لأنها ترى حالتها النفسية غير مستقرة فتقول «**إحسان لم ترحب بالفكرة فهي تعلم جيدا أن نفسيتي ستتدهور أكثر مما هي عليه إن أنا أخبرت والدي**[1]» فكلام والدها سيزيدها سوءا على ما هي عليه بعدها تذكرت الصندوق الذي أتى به أمجد فأخبرته ما هذا فأجبتها إحسان أنها أخبرت أمجد أنك لا تستطيع الكتابة ووجدت أن القراءة والمطالعة احسن لك فأنت تحبينها ستفيدك كثيرا فيقول «**إنها سير ذاتية لأشخاص عانوا في حياتهم لكنهم تغلبوا على كل ما اعترض طريق نجاحهم بل وأصبحوا عظماء**[2]» فهو يعطيها امل في الحياة وأن كل مر فيمر وأن لا حياة مع اليأس وأن فرج الله آتي لا محال فشكرته على تلك الكتب وأخبرته أنها سوف تقرأهم. بعدها تبدأ زينب وإحسان بترتيب تلك الكتب وعند انتهائهم وجلوسهم على طاولة الأكل أخبروا زينب على أنهم يخططان إلى الزواج بعد الحفل الذي سيشارك فيه مع فرقته ففرحت زينب لسماع هذا الخبر السعيد لأنهما ثنائيا رائعا ومميزا كثيرا.

ليقوم بعدها أمجد بسؤالها متى تنوي الارتباط واكمال حياتها فيقول لها «**أقصد مع من ستكملين نصف دينك يعني كنت تتجنبين التفكير في هذا الموضوع من قبل والآن ألم يحين الوقت لذلك؟**[3]» فهي لم تفكر في الأمر أبدا فردت عليه إحسان نيابة مع زينب أنه ليس في وقته المناسب لأنها تمر في أيام صعبة وحالتها ليست جيدة فقالت لهم لتجيب هي بعد ذلك، «**أنا لا**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص89.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسها، ص90.

أبحث عنه وهو لم يجدني بعد[1]» فيندهش كلاهما مما قالت وأخبرته أنها تتحدث على نصف دينها الذي سألها عنه أمدت لتقوم بعدها من طاولة الطعام وتتجه نحو غرفتها في مكانها المظلم كعادتها وتقوم إذ قامت تتذكر كيف حاول والدها أن يزوجها من ابن رجل الأعمال الفرنسي من أجل أن يكبر ثروته والذي لم يهتم إلى مشاعرها وبتعاليم الإسلام لو لا تدخلي والدتا أمجد لكانت انتهت حياتها فهي من منعت ذلك فتقول لقد ضرب والدي بكل تعاليم ديننا الحنيف عرض الحائط وهو يفعل ذلك والحمد لله أن عمتي والدتا أمجد قد تدخلت في الوقت المناسب ومنعت ذلك من الحدوث إذ كانت ذلك الزواج عبارة عن صفقة متبادلة ثم تذهب إليها إحسان عندما رأتها غادرت الطعام ولم تأكل شيء وعادت إلى غرفتها المظلمة فطلبت منها السماح لما قاله أمجد فأخبرتها أن هي الغير منطقية وسؤاله لم يزعجها بعدها عادوا نحو أمجد الذي كان يتصفح الكتب التي أتى بهم وأخبرها أن تبدأ بذلك الكتاب الذي كان في يده ثم يهم بالخروج بتقول هي في نفسها «**لم يعلما أن أصدق مشاعرنا على مر الزمان هي تلك التي لا نستطيع التعبير عنها وأن أصدق الكلمات هي التي لا تستطيع كتابتها تماما مثل تلك المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي.. التي نعدلها لتكون moi uniquement تلك هي أصدق منشوراتنا على الإطلاق**[2]»، هناك مشاعر تظل في القلوب تؤلم صاحبها ولا يستطيع أي أحد أن يعلم بها أو التعبير عنها وأصدق الكلمات هي التي لا تكتب.

أفاد التناوب التكراري بين الأحداث وكيف يتم سردها إذ قامت زينب باسترجاعات والتي تتمثل في تخلي والدها عنها وعن والدتها وتعنيفه وظلمه لها. وألم وجرح والدتها منه، وكيف أن زينب هي ضحية الاختيار الخطأ، إذ أتقنت الكاتبة فن الحكي وأتقنت آلية الحكي أيضا من خلال أدوار التي وظفتها لكل شخصية. وكيف استطعت أن تربط بين الماضي البعيد مع الحاضر

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص 92.

[2] المصدر نفسه، ص93.

الموجود وكيف دمجت بين القصص القديمة التي حدثت في ماضي طفولتها وكيف ترجعها إلى حاضرها وماذا يحدث فيها وتداخل الشخصيات والدها وأفعاله ووالدتها والأمها غير المنتهية منه. وتسرد لنا عن وضعيتها المتدهورة والتي تزداد سوءا. وكيف يحاولان كلا من أمجد وإحسان مساعدتها في تخطي ذلك.

تبدأ هذه المرحلة حينما تجلس زينب في المساء وتأخذ الكتاب الذي اختاره أمجد كي تقرأه، لكن لم يعجبها ذلك، فخشيت أن تكون جميع الكتب مثله. لتبدأ بتصفح جميع تلك الكتب إلى أن وقعت بين يديها مجموعة من الأوراق ملتفة بمثبت معدني ومكتوبة بخط عربي جميل وواضح. استنتجت أنها مذكرات، وللحظة بدأ الخوف يسري في جسمها. هل يمكن أن تكون مذكرات لسيد علي؟ وضعتها على الطاولة وبدأت الأفكار السيئة تتوارد إلى رأسها، كيف لها أن تقرأ مذكرات شخص ميت؟ بالرغم من أن الكتب التي نقرأها أغلب كتابها قد ماتوا، إلا أنها كتب علمية، أما هذه فهي مذكرات. لتستجمع نفسها مرة أخرى وتسأل «**ومن أكد لي أنها لسيد علي؟**[1]» لتعود وتجلس وتبدأ بتصفح المذكرات وأول شيء تقرأه كان: «**مها**[2]». ليكبر فضولها وتكمل القراءة فتجده قد كتب «**كنت هناك وحيدا.. راضيا بقدري.. مؤمنا بأن هذه هي دنياي.. أو بالأحرى هذا هو سجني.. الذي عليّ أن أكمل فيه بقية حياتي.. إن كان لها بقية طبعا.. وإن كانت حياتي حقا حياة.. جئت فجأة وانتشلت ما تبقى مني إلى غيمة صافية نقية.. تهطل مطرا عذبا زلالا..**[3]».

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص94.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لتواصل قراءة تلك الصفحات فتجد في الأخير قد كتب «**زوجك المحب آدم**[1]» ليتبادر في ذهنها من هو آدم وهل لسيد على اسمين ليعود ذلك الخوف مرة ثانية هل حقا هي تقرأ لشخص ميت ولوهلة تأخذ هاتفها كي تسأل أمجد لكن تتذكر قبل الاتصال أن آدم قد ذكر السجن وهي تعلم أن في سيد علي لم يدخل السجن وليس له امرأة فقد مات أعزب وهذا ما زاد من كثرة تفكيرها لتعود مرة ثانية وتفتح تلك الصفحات وتبدأ بالقراءة وتمنت أن تبقى وحدها لتستمتع بقراءة هذه المذكرات فكانت الصفحة التالية قد كتب فيها «**مؤلم هو الفقد يا مها**[2]».

فتواصل القراءة فتجد آدم قد تحدث عن «**زوجته مها الذي يعاني من الأم فقدها والذي يحاول أن يقنع نفسه أنها لم تعد موجودة في حياته والذي يحاول عبثا انتشالها منه فهو يرى أنها تسر في دمه وأن مكانها بأعلى الشريان الأبهر ولا تدور دورة دموية صغر أو كبرى إلا وهي محورها فلقد تعب من كثرة التفكير بها وبرحيلها المفاجئ وعن سخية القدر منه ويرى نفسه أنه أحمق بأنه سيكون سعيدا بعد زواجه منها فقد نسي قانون الحياة وأن السعادة تكون مبنية على الألم والحزن غير المنتهي**[3]».

استنتجت زينب بعد من تلك المذكرات التي هي بين يديها أن الشخص المدعو آدم كان متزوج من مها وأنها توفيت ولم تعد موجودة في حياته وكم هو مؤلم الفقد إذ قال أمجد أن مها أحبته كثيرا وتقبلته رغم رفض المجتمع له فصارت هي كل الدنيا وأمنت فيه أنه إنسان طيب صالحا، رغم أنه كان يرى نفسه شخصاً فاسداً لنفسه ولمن حوله فقد كان يتعاطى المخدرات وكان في السجن وهي كانت محاميته فقد أخرجته من زنزانته، وأخبرته أن يعدها بعدم تناوله مرة ثانية

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص95.

[2] المصدر نفسه، ص96.

[3] المصدر نفسه الصفحة نفسها.

ليتساءل آدم بماذا سيعدها فتقول مها «**نعم هي تماماً تركها وعد إلى طبيعتك أنت إنسان طيب جداً يا آدم.. لقد كانت حدثاً عارضاً في حياتك.. اتركها وللأبد**[1]».

وافق آدم على طلبها ووعدها أن يترك المخدرات نهائياً وكما حكانا الحال تخلى عنها من أجلها ووفى بوعده لها رغم صعوبة التخلص من إدمان المخدرات فهو يشبه الموت الذي يجب على تاركيها أن يتحلى بالصبر، إلا أن آدم قد وعد مهى ووعد نفسه أنه يجب أن يتخلى عن المخدرات بسبب حبها له والتي أمنت أن داخله إنسان طيب لكن إدمانه لمها لا ينتهي ولا يمكن أن يتخلص منه لأنها جزءاً منه وفي داخله وكما أن حب الحلال جميل جدا ولكن منطق الحياة والقدر لا يمكن توقعه أبدا.

عندما وصلت زينب إلى ذلك الحد من المذكرات تذكرت والدها الذي هو مدمن خمر كما كان حال آدم من قبل فتقول «**عندما وصلت إلى هذا الحد فتذكرت والدي فجأة أبي أيضا مدمن خمر.. تماما كهذا الآدم الذي كان مدمن مخدرات؟؟ لا أدري لماذا شعرت بأني ارتكبت ذنبا كبيرا.. في حق والدي..**[2]» حاولت زينب التخلص من شعورها بالذنب في حق والدها ثم فجأة تذكرت ما قاله لها قبل أن تموت والدها إلا أن ضميرها رفض كل المحاولات التي تجعلها تبرر فعل والدها واستنتجت أن هذه المرأة المدعوة مها تكون محامية. «**إذا فهذه مها مما بدا أنها محامية او شيء من هذا القبيل اه محامية أنها تشبهني انا أيضا..**[3]».

تمنت زينب ان تلتقي بآدم ويخبرها عن قصته هو ومهى فكم ساعدتها كثيرا مذكرات آدم في الخروج من ما هي عليه «**كان آدم يشغل تفكيرها كثيرا وكيف ساهمت مها في تغيره من مدمن**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص97.

[2] المصدر نفسه، ص98.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

مخدرات إلى رجل طيب فاكتشفت أن مها كانت كالدواء على جرح ادم وكيف اخرجته من ظلمته إلى النور الذي داخله الذي اغلقت عليه تراكمات الأيام[1]» وهذا ما جعلها تفكر لماذا لا تفعل هي كذلك مع والدها والذي جعلها تؤمن من أنها تستطيع تغييره وهو تذكر أن والدتها أخبرتها أنه كان من قبل إنسان طيب وزوجا مثاليا وأنه تغير بسبب الغربة وكثرة المال فهم كان السبب في فساده. وترى لو أنها وقفت بجانب والدها لكان الحال تغير كثيرا وقررت أن تحاول تغييره. فتقول «**كنت أعي تماما أن مهمة تغيير شخص ما ليست بالأمر الهين خاصة تغيير الرجل.. لكن على أي حال سأحاول. أنا لن أخسر شيئا..[2]»**، فعزمت على تغيير وضع والدها وأنها إن خسرت كرامتها فلا مشكلة لديها لأنها سوف تخسرها مع والدها وليس مع شخص آخر.

تم التناوب في هذا المقطع بين ذكريات زينب حول آدم ومها، وبين تفكيرها وقرارها بخصوص والدها. عندما تتذكر زينب آدم ومها، تنقلب إلى قصتهما وتعبيرات مشاعرها حيالهما، وتوضح كيف ساهمت مها في تغيير آدم وإخراجه من الظلمة التي كان فيها، ثم يتحول التناوب إلى تفكير زينب في والدها، وتذكر أحداث حياته وتأثير الغربة وكثرة المال عليه. تعبر زينب عن أملها في تغيير وضع والدها، وتعكس مشاعرها وتفكيرها حول الأمر. فهذا التناوب يساعد على إظهار تشابك الأحداث والمشاعر في حياة زينب، حيث يتم ربط قصة آدم ومها بتجاربها الشخصية وتطلعاتها لتغيير وضع والدها.

لتتسأل فيما بعد من الذي ادخل آدم إلى السجن. وتقرر تأجيل هذا التفكير. وتكتفي بمحاولة تغيير والدها إلى الأحسن. فمها قد جعلتها تشعر بحافز كبير لتتقدم نحو الأمام. بعدها تذهب مسرعة إلى والدها ومذكرات أمجد معها. فوصلت إلى الشركة لكن لم تجده هناك. وأخبرتها

[1] ينظر، أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص99.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

السكرتيرة أنه ليس في الشركة بل هو غادر نحو المنزل. فقررت أن تذهب إليه إلى المنزل. فتقول **«آآآه لما عليّ الرجوع إلى ذلك المنزل ثانية.. ذلك المنزل البائس الذي في كل زاوية من زواياه ذكرى أليمة.. ومأساة..[1]».**

في طريقها إلى منزل والدها، اتصلت زينب بإحسان وأخبرتها بما ستفعله، لكن هذا الخبر لم يعجب إحسان، وعندما وصلت إلى المنزل وفتحت الباب بالنسخة الموجودة عندها، لم تجد أي تغيير في المنزل، فرؤية الأشياء ثابتة في مكانها منذ سنوات أثارت فيها نوبة حزن عارمة، مما جعلها تتذكر الظروف السيئة التي عاشتها في منزل والدها ومدى الحزن والأسى الذي تعرضت له. تذكر كيف كان والدها يراها وكأنها ولد وليست فتاة، ومحاولته تزويجها كعقاب عندما ارتدت الحجاب.

فجأة تسمع زينب صراخ والدها على زوجته صونيا في مكتب المنزل، حيث يعاتبها على خيانتها ويصرخ قائلاً **«لماذا فعلت بي هذا يا صونيا.. كيف استطعت خيانتي هكذا بكل بساطة.. تزوجتك لنفسك وتزوجتني لحالي.. تبا لك يا صونيا تبا..[2]»**، زادت حدة الصراخ بينهما، وكان هذا مشهدًا مألوفًا لزينب، فأنها رت لما رأته وتذكرته، وبصوت مرتفع، طالبت زينب والدها بالتوقف عن الصراخ، مما جعل والدها وزوجته ينصدمان لرؤيتها في المنزل وهي منهارة، والتي كانت منهارة بدون دموع، طلبت من والدها **«لا.. لا تفعل ذلك يا أبي أرجوك.. يكفي ما فعلته بأمي رجاء، ألا يكفي أنها تركت العالم بأسره لك ورحلت إلى قبر صغير من التراب ليحتويها.. ويفعل ما عجزت أنت عن فعله..[3]»**، والدها انصدم لسماع هذا الخبر، وفي اللحظة نفسها انتبه إلى حالة زينب

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص100.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص102.

وصدمته، ليسألها والدها «**زينب.. مم ما الذي تهذين به.. منذ متى وأنت هنا؟**[1]» لتخبره هل سيمنعها من حقها لرؤيته فيقول أنه لم يقصد ذلك، فتواصل زينب البكاء بدون دموع وهذا ما أزعج والدها فقال «**تبا لكن جميعا يا بنات حواء.. لو ان هتلر قبل قد أحرق جميع نساء العالم وخلصنا منكن.. أنتن مصدر ازعاج وقلق مستمر.. اذهبن جميعكن إلى الجحيم..**[2]».

تندهش زينب بما تلفظ والدها به فلم تصدق ما تمنى وقبل أن تتحدث هي صرخت زوجة والدها رافضة ما قاله ليعود الصراخ بينهما مرة ثانية، وبينما تهم صونيا مغادرة المنزل يمسكها والد زينب وحينما حاولت التخلص منه سقطت من الدرج لتنصدم زينب مرة ثانية من ذلك المشهد وبعدها تنزل مسرعة وتتحسس نبضها لتجدها على قيد الحياة لتنقلها هي ووالدها إلى المشفى ليسالها والدها وهم في الطريق «**لن تموت يا زينب.. أليس كذلك؟**[3]» أول مرة ترى زينب خوف والدها من موت زوجته عكس والدتها التي تحملته وعانت منه الكثير، لتجيبه بعدها «**لا تخف.. هذا النوع من النساء لا يموت بسقوطه من الدرج**[4]» ثم وصلوا إلى المستشفى وكما كان الحال لم تمت اصيبت اصابات خفيفة وبعد استيقاظها طلبت منه أن يطلقها.

بقيت زينب في دهشة من أمرها كيف أن والدها لم يهتم لوفاة أمها وكأنه لم يسمعها فهذه التصرفات زادتها سوءا على ما هي عليه فتقول «تجاهل والدي أمر وفاة أمي الذي أخبرته به وكأنه لم يسمعني.. أو أن الأمر لا يهمه.. هو لا يدري أن بكلماته وتصرفاته يقتلني في اليوم ألف مرة..»[5]، فهي لم تستوعب لحد الساعة كيف أن أمر والدتها لم يعد يهمه وكيف أصبح قاسي

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص103.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص 104.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المصدر نفسه، ص105.

القلب، وعندما همت بمغادرة المستشفى وهي محطمة القلب فهي لم تعد تستطيع تحمل هذه الندوب التي أصابتها والجروح التي لا تشفى أبدا، وتحدث في ذاتها «**أنه لا يملك شرف سماع أخبار عن أمي..**[1]».

بعدما غادرت المستشفى أخذت سيارة والدها لكي تعود إلى منزله وتأخذت تلك المذكرات وأثناء الطريق كلما تتذكر ما قاله تزيد في سرعة السيارة إلى أن استصعبت الرؤية من كثرة الدموع التي في عينيها فتقول وكان والدتها معها «**لا أحد يعلم أنك دنيا لكنك تعلمين.. تعلمين أنه لا عيش لي دونك.. حتى والدي يا أمي.. زجرني وتخلى عني في أشد أوقات حاجتي إليه.. لا أحد يعلم بذلك لكنك بالتأكيد يا أمي تعلمين.. فهو أبي وزوجك المخلوق..**[2]»، ومن كثرة ذلك الحزن تتحرر عيونها بالدموع التي قد دفنتها منذ سنوات فحتى المطر كان يبكي معها إذ كان يتساقط بغزارة مما جعلها تفقد السيطرة على السيارة وتصطدم فتقول «**كان المطر ينهمر بغزارة في ذلك اليوم إلا أنني تجاهلت ذلك ورحت أقود السيارة بأقصى سرعة إلى أن فقدت السيطرة على السيارة نهائيا وراحت تقودني لا أقودها إلى أكبر شجرة على حافة الطريق..**[3]» لم تفقد زينب وعيها في تلك الدقيقة إلا أنها قد أصيبت والدماء كانت كثيرة على وجهها وأثناء لتتذكر في تلك اللحظة والدتها وتمنيها الموت كي تلحق بها وتفقد وعيها.

بعد مدة تستيقظ وتجد إحسان تمسك يدها بقوة لتسألها أين هي فيخبرها أمدت أنها في المستشفى وأن الشرطة قد اتصلت بإحسان لأنها كانت أخير رقم اتصلت به هي وحينها تتذكر زينب كل ما حدث فتقول «**تمنيت لو أنني تهشمت وسط السيارة فوجدوني جثة هامدة.. يا ليتني**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص106.

[2] المصدر نفسه، ص107.

[3] المصدر نفسه، ص108.

صرت هباء منثورا[1]**»**، حاولت أن تستعيد البعض من حالتها التي أصبحت متبعثرة ومكسرة. وفي هذا الألم تذكرت المذكرات التي هي بحاجة لها كثيرا. فنادت بأعلى صوتها على أمجد وإحسان وأخبرتهم عن أمر المذكرات. ولكن كلاهما لا يعرفان شيئا عنها حتى أمجد لم يسمع بآدم أو مذكرته من قبل. فأخبرتها إحسان أنها سوف تذهب للشقة كي تحضرها لكن قاطعتها أنها ليست هناك بل في منزل والدها.

فأخبرت إحسان إن حدث شيئا هناك فقالت لا لم يحدث شيء، ولم تخبرهم بشيء واكتفت بذلك الحديث فقط ثم واصلت قائلة «**.. من اليوم فصاعدا لا أب لي.. لا أريد أن أسمع هذا اللفظ ثانية وإلى الأبد ما حييت..**[2]**»**، فردت إحسان عليها لماذا ذهبت إليه ألم أخبرك أن تأجيله حتى تستعيدي حالك، فصرخت بأعلى صوت بأنها لن تتحسن ولن يتغير حالها مهما حدث فهي فقدت أملها في الحياة بأسره، فكانت كلما تحاول أن تقف على قدميها تعصرها الحياة فأخبرتهم أنها ليست مريضة بل هذه حياتها فقط فغضبت منها إحسان كثيرا فقالت لها «**لو أن والدتك على قيد الحياة هل يكون رأيك على نفسك كما هو حالك الآن؟ فأنت وعدتها أن لا تجعلي حياتك عدما، بل أنت تعدمينها بتفكيرك السلبي وتستسلمين للحياة فلابد لك أن تستفيقي مما أنت عليه على الأقل وفاءا بوعدك لوالدتك**[3]**»** فبعد هذا الكلام تهم إحسان بالخروج وتتبعها أمجد، بقيت زينب غير مصدقة لما قالته صديقتها وبدأت تفكر كيف أنها تخلت عن وعدها لأمها بسهولة.

وبعد مدة من التفكير اتصل بها أمجد وأخبرها أن المذكرات معه وغدا سوف يحضرها معه، تلهفت زينب لقراءة المزيد من تلك المذكرات لأنها وجدت نفسها فيها وهي الوحيدة التي تستطيع أن

---

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص109.

[2] المصدر نفسه، ص111.

[3] المصدر نفسه، ص112.

تخرجها فيما هي عليه فتقول «... **بعض الكتب بوصلات تدلنا على المسار الذي يجب أن نسلكه، وأخرى مرايا نرى فيها أنفسنا وتلك هي التي تشدنا أكثر تساعدنا على معرفة ذواتنا الحقيقية من نكون.. وماذا نرقد. ولأنها كالمرايا فإن بعض الأشخاص يبدون أنهم أكبر مما يبدون عليه في الواقع ومرات أخرى أصغر..**[1]».

كانت الليلة التي قضتها زينب في المستشفى مليئة بالآلام إذ أنها طوال الليل باتت تأن وتتوجع رغم المسكنات الكثيرة لكن بدون جدوى، إلا واحدة منهم استطاعت أن تغيبها عن وعيها وتغط في نوم عميق حتى جاء الصباح واستيقظت وبقيت مستلقية على سرير فهي لا تستطيع النهوض وفكرها في آدم ومها كان هذه المذكرات مفتاح نجاتها من واقعها الأليم، وهي تفكر حتى تسمع طرقا على الباب لوهلة ظنت أن أمجد و إحسان وكانت الابتسامة على وجهها حتى ترى والدها وتختفي تلك الابتسامة كأنها لم تكن فقد جاء لزيارتها يسأل عن حالها فقالت له «**تسأل هل انا بخير كان عليك طرح هذا السؤال منذ ان اتيت بي إلى هنا منذ ان ابعتني عن أمي**[2]» ليجيبها بكل برودة أعصاب (رحمها الله) وهذا جعل زينب تغضب كثيرا وتبدأ بالصراخ وتخبر والدها عن كل ما تحسه من الأم و فقدان أمها كذلك تخبره عن ما حدث لأمها وهي في المستشفى وأنها لم تجد اي شخص معها وان أمها قد ماتت بين يديها وأنها تحمل نفسها الذنب لموتها، لتواصل اخباره عن الاكتئاب الذي هي عليه.

بعدها تلاحظ علامات التعجب في وجهه لتقول «**أنا.. أنا مريضة يا أبي لا أستطيع البكاء إلا نادرا ولا أعرف كيف يتحكم الناس في أوقات نومهم.. أنا.. أنا متعبة حقا يا أبي لقد تعبت**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص112.

[2] المصدر نفسه، ص113.

وحين أردت الاستعانة بك على صروف الدهر والاستناد عليك والوقوف بك تصدني يا أبي قبل أن تسمعني حتى وتحاسبني أنا على جريمة زوجتك في حقك؟[1]».

وبعد ذلك الكلام تتفاجأ زينب أن والدها يبكي ثم عانقها وقال «**سامحيني يا ابنتي سامحيني على كل ما قلته لكي أقسم أنني لم أكن بوعي لا حينها ولا قبلها أعلم أنني والد سيء سامحيني على كل ما قمت به وكل الذي لم أقم به[2]»**، ليواصل والدها في اعتذاره **فيقول «أنا آسف جدا لكل ما فعلته بك الاقدار السيئة واعانتها عليه وعلى المسئولية الكبيرة التي القيتها على عاتقك... وعهد عليّ امام الله وامامك انني لن أتذوق الخمر ثانية فلتغفري لي يا زينب..[3]»** فهو كان يقول هذا الكلام وفي عينيه أمل بأن ابنته ستسامح وكان ذلك بالفعل فزينب قد سامحت والدها وضمته إليها.

ولم تكمل إحسان سؤالها لتتفاجأ بدخول والد زينب إلى الغرفة ويلقي السلام عليهم لتنظرها إلى صديقتها والتساؤلات في عقلها، انتظرت زينب إلى أن غادر وسألت أمجد هل هو من قام بإخباره ليخبرها أنها كانت تقود سياراته لهذا من الطبيعي أن يعلم بالحادث لتقول هي أنها لا تسأل عن الحادث بل عن وفاة والدتها ويخبرها أن والدته من قامت بإخباره وعندما تنتهي تسألها إحسان ما الذي حدث بينه وبين والدها فأخبرتهم أنه طلبت منها السماح على ما جعلها تعيشه وأنها سامحته على ما فعله بها فقالت «**لقد جاء واعتذر مني فسامحته بكل بساطة[4]»** ثم أضفت أنه يضل والدها مهما فعل، فهي تقبلت والدها رغم ما فعله لأنه يبقى والدها مهما كان قاسي فتعجب أمجد من حالتها ومزاجيها المتقلبة فأحيانا تكون عاقلة متفهمة وأحيانا أخرى متهورة وغير منطقية

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص115.

[2] المصدر نفسه، ص116.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص118.

فابتسمت وسألته هل هي مجنونة ليرد أمجد بلا وبدأت بالابتسامة وهذه كانت أول مرة تبتسم من قلبها بعد وفاة أمها.

أفاد التناوب في تكرار الأحداث والمأساة التي عانتهم زينب منذ طفولتها، والآن تتكرر معها، وهي كبيرة، فالكاتبة تفوقت في استرجاع الماضي وربطه بالحاضر الموجود، وأن ما عاشته بقي على حاله جرح يصعب شفاءه، بل كل حدث يذكرها في الحدث السابق. لكن أسلوب الحكي تغير من حيث التوظيف اللغوي والأسلوبي، وكيف أن جرح والدها لم يشفى وحديثها مع أمها كأنها موجودة. كذلك إدخالها لشخصيات جديدة وهي زوجة والدها، وكيف ساهمت في تغير الأحداث. إذ بعد حادثة زوجة والدها وحادثها هي تسامحت مع والدها تغير مجرى أحداث الرواية.

بعدما انتهت الزيارة غادر كلا من أمجد وإحسان لكن قبل المغادرة سألت زينب أمجد إذ هذه المذكرات وشخصية آدم لهما علاقة بسيد علي لكنه أجاب بالرفض وأن سيد علي ليس له علاقة بهم، بعدها تضع زينب أمامها تلك المذكرات كأنها شيء ثمين لابد من أن تقرأه فإذ فتحت صفحة فوجدت آدم قد كتب **«والآن يا مها.. ماذا بعد[1]»** فهو كان يتحدث مع زوجته كأنها موجودة في الحياة يطرح عليها الأسئلة وينتظر إجابة منها عن ذلك، فكم وجع الفراق صعب جدا فزوجته مها لم تمت موتا عاديا فهي ماتت محترقة بأبشع طرق وأسوأها وهذا هو ما يصعب تحمله فهو قد تحمل حياة صعبة من البؤس والوحدة وحياة الشقاء أشياء لا يستطيع أحد أن يتحملها، إلا فقدانها هي فهو أشد عذاب فيقول **«أنا الذي تربيت على اليتم والبؤس والشقاء.. أنا الذي رأيت أشكالا**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص119.

من العذاب في السجن لا يمكن لأحد أن يتحمله.. أنا عذبت وتعذبت لم أرى في حياتي أسوأ من رؤيتك.. محترقة يا مها[1]».

وأسوء احساس أن يفكروا بأنه هو من قتل محبوبته فقال «**هه تعتقد الشرطة أنني أنا من قتلتك يا مها تعتقد أنني أحرقتك لذنب يجهلونه وأعلمه.. ألم تبلغهم رائحة حرائق قلبي.. أف لهم وألف أف..[2]**» هذه الصفحات التي قرأتها زينب تجعلها تتحمس لإكمال قراءة هذه المذكرة بأسرع وقت فهي لا طاقة لها في التفكير عن ما حدث معهما لتبدأ القراءة مرة أخرى.

تواصل زينب قراءة المذكرات وتكتشف المزيد عن معاناته حيث تصف المذكرات الحكم الغيابي الذي أصدرته المحكمة ضده باعتباره قاتل مها، مما جعله يواجه السجن كحقيقة لا مفر منها. فيتذكر آدم في كتاباته تجربته الأولى في دخول السجن، وكيف أن مها كانت السبب في خروجه. وأنه يعتبر مها كل شيء في حياته إذ قال «**هل تعلمين يا مها أنك اختصرت أي شخص يمكن أن أحتاجه في هذا الكون..؟[3]».**

بينما زينب تقرأ المذكرة جاءت إحسان إليها وعلامات الحزن تبدو عليها فهي تشك أن أمجد قد تغير فقد كان يحبها ويهتم بها كثيرا في بداية الخطبة وكان يفعل الأشياء التي تحبها وتسعدها والتي أصبحت لا تتخيل حياتها بدونه أما الآن فقد تغير وأصبح شخصا آخر فلم يعد يهتم لأمرها ولا ساعدتها فتقول إحسان «**والآن توقف عن كل ذلك.. لم يعد يهتم لأمري، ولا أمر سعادتي صار يهمه في شيء، وكأنه تحول إلى شخص آخر.. وكأنه يا زينب ليس أبدا أمجد الذي خطبني منذ مدة.. أنا محتارة جدا في أمرة.. ولا أدري ما الذي يحصل معه[4]**» حيث عندما حاولت عتابه تهرب

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص120.

[2] المصدر نفسه، ص 121.

[3] المصدر نفسه، ص123.

[4] المصدر نفسه، ص 127.

منها ووصفته بالأناني والغير المبالي لها ولحبها فهو لم يتنازل لشرح لها ماذا يحدث لتقوم زينب في محاولة تهدئتها وإخبارها أنه مشغولا في شيء ما، وهو يحبها ولا يمكن أن يتغير عليها مهما حدث وبأنها فترة قصيرة وستمر وتقول «... **كوني على ثقة أنه سيعود أفضل مما كان عليه.. والآن عليك أن تشجعيه وتتقبليه.. سيقدر ذلك جدا.. بدلا عن عتابك المتواصل له ومطالبته بالتحدث.. ثقي بي يا إحسان.. فأمر ساعدتك يهمني كثيرا..**[1]» فأحست بعد أن تكلمت مع زينب أنها تطمأنت وأصبحت بخير وبث فيها روح الأمل أنه سيعود أحسن مما كان عليه.

لتشكرها بعد ذلك إحسان وتغادر، عادت زينب مرة أخرى إلى قراءة المذكرات لتكتشف أن هذا هو آخر ما كتبه آدم فقد استرجع في أحزانه قول جدته: «**لا تراهن على أحد.. ففي كل رهان ستخسر نفسك.. كن متأكداً..**[2]»، وكما كان الحال فقد خسر في الرهان بعد وفاة زوجته إذ كان يعتبرها كل شيء في حياته ولم يكن سهلاً عليه تقبل رحيلها المفاجئ، الذي جاء بدون سابق إنذار فهي كانت مثل هدية الحياة له، أعطت معنى لحياته بعدما كان يعيش في العدم، إلا أنه الآن متهم بقتلها يا لسخرية القدر كيف لمن يراها حياة بأكملها أن يقتلها، وأخبرها أنه لن يتوقف عن الكتابة إلى أن تجيبه هي.

انهت زينب قراءة مذكرات آدم، أو صاحب الدمع الخجول كما سميه هي فكان كل تفكيرها كيف حال آدم المسكين المتهم بقتل زوجته. تمنت أن تستلم هذه القضية ويجب عليها أن تفوز بها. فتقول «**آآه كم أريد أن تكون هذه هي قضية الأولى التي عليّ أن أفوز بها..**[3]» وبينما هي في

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص 129.

[2] المصدر نفسه، ص 130.

[3] المصدر نفسه، ص135.

أحلامها تدخل عليها الممرضة وتخبرها بأنها ستبقى لأيام اخرى، إذ يجب أن تقوم بفحوصات وأثناء ذلك يدخل والدها وأخبرها أنه طلق زوجته غيابيا لتفرح هي بذلك الخبر.

بعدها يغادر وتبقى هي طوال الليل تتألم، وفي الصباح تستيقظ وتنتظر وصول أمجد لتسأله كيف تحصل على هذه المذكرات، وحينما وصل أخبرها أنها كانت لصديقه سيد علي فيقول «**في الحقيقة والدة سيد علي هي من أعطتني إياه..**[1]» وأخبرها أنه لا يعرف شخصا يدعى آدم. وبعدها شردت قليلا أخبرته أنها سوف تغادر نحو الجزائر للبحث عنه. وستكون أول قضية لها وستفوز بها اندهش أمجد من كلأمها. وأخبرها أن لا تتأمل كثيرا لكي لا تصاب بخيبة أمل. فيجب أن لا تعيش الحلم بل أن تعود إلى الواقع وترى هل موجود حقا أو ميت أو قصة حقيقية أو خيالية، وإن كان بريئا أو مجرما حقا فيقول لها «**زينب لا تكوني حالمة أكثر مما يحبني.. كوني واقعية قليلا، أنت تتحدثين عن شخص لا نعلم أصلا هل هو موجود على هذه الأرض أم لا.. حتى وإن وجدن فلا علم لنا أهو حي أو ميت.. وإن كان حيا فنحن لا نعلم ان كان بريئا حق أو لا..**[2]»، فمن كلامه علمت أنه على حق لكن هذا لا يمنعها من مواصلة ما سعت إليه.

بعدها أتت إحسان أخبرتها عن مذكرات آدم وما داخلها وعن ما قاله لها أمجد وكيف أنها قررت السفر إلى الجزائر والبحث عنه وكانت تحاول الخروج من المستشفى لكن بدون جدوى لأن التحاليل لم تكن سليمة لذلك منعها الطبيب من الخروج كذلك والدها حينما أتى وعلامات الأسى تبدو على وجهه قد منعها هو الآخر لكنها لم تصغ له لأنها أخبرته أنها سوف تغادر نحو الجزائر وهي تتكلم معه حتى اتصل بها أمجد وأخبرها أنه توصل إلى آدم وأن تلك المذكرات حقيقية وأنه موجود في السجن وكام فتحت من قلبها إلى هذا الخبر فقالت «**أخبرني أمجد أنه اتصل بوالدة**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص138.

[2] المصدر نفسه، ص138_139.

صديقي سيد علي ليسألها عن أمر تلك الكتب والمذكرات.. فأخبرته أنها ملك لرجل يدعى آدم.. كان جارا لها.. وأنه الآن في السجن.. اقتربت مني إحسان تريد سؤالي إلى حين رأت ردات فعلي فأشرت إليها أن لا تفعل..[1]».

لتنطلق إحسان في السرد عن فرحة زينب بعدما أنهت مكالمتها مع أمجد. فتقول «**وها هي الآن مقبلة نحونا وعلامات السرور بادية على وجهها. كانت فعيدة لدرجة أنها رمت العكازة على الأرض وأقبلت تسير وهي تعرج متجاهلة ما تحس به وما لا تحس به من ألم..[2]**»، إلا أن عم توفيق كان قلقا على ابنته بسبب ما أخبره الطبيب عن مرضها فيسألها مع من كانت تحدث لتخبره «**إنه أمجد أخبرني أن قصة آدم حقيقية وأنه الآن في السجن[3]**» فيندهش عم توفيق ويسألهما من يكون هذا الشخص فتدخلت إحسان تخبره عن قصة المذكرات وماذا تريد زينب فعله. لكنه رفض ذلك وأخبرها بالبقاء في المشفى. كما قال الطبيب. لكن زينب معروفة بكرهها للتحكم فهي عاشت حياتها مسؤولة عن نفسها، وقالت والدي «**سأذهب ولن تمنعني قوة في الأرض عن ذلك[4]**» فهي رغم أنها صالحته إلا أنها لم تنس ما فعله معها حينما كانت صغيرة.

إلا أن في حقيقة الأمر، والدها كان على حق في ذلك، لكن زينب صعب الفهم، فهي عاشت كل حياتها وحيدة وقراراتها تكون من تلقاء نفسها، ولم تتعود خوف شخص آخر عليها حتى والدتها التي كانت أقرب أيناس إليها وبعدها وهي تناقش والدها يغمى عليها، فيظهر خوفه الكبير عليها حين منعها من مغادرة السرير. ويقول «زينب لا تكون متهورة، أرجوك.. إن كانت صحتك لا

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص141.

[2] المصدر نفسه، ص145.

[3] المصدر نفسه، ص145.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تعني لك الكثير.. فهي بالنسبة لي كل شيء..[1]» فقالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرة، «كل شيء.. هه استعد يا أبي، إذن لتفقد ذلك الكل دفعة واحدة..».[2]

اندهشوا مما قالته فتخبرهم أنها تعلم جيدا بمرضها، وتقول «**أنا أعاني الاكتئاب منذ مدة طويلة.. منذ عشر سنوات.. إنه اكتئاب مرضي.. عرض جانبي لما تسمونه "المرض الخبيث".. إنه بالرئة، ولهذا لم أكن أستطيع زيارة أمي إلا مرة كل سنة.. لأن ركوب الطائرة يضر بي كثيرا، ولا أستطيع التنفس..[3]**» تنصدم إحسان بما سمعته من صديقتها إلا أن الطبيب يؤكد بذلك حينما يحضر ويخبرها بضرورة بقائها في المستشفى ورغم ذلك إلا أن قرار زينب بالسفر لم يتغير ورفضها للمعالجة وأثناء ذلك كانت إحسان قد أخبرت العم تفيق بوصية الخالة فاطمة فتقول «**لقد أوصتها ألا تجعل حياتها عدما ألا تخرجها كما دخلتها[4]**» وبين نفسها تحس أنها لم تعرف زينب ولو قليلا فالغموض مليء في حياتها فهي كانت تظن بأن صديقتها تخبرها في كل شيء مثل ما تفعلها هي، لتطلب بعدها من العم تفيق السماح لزينب فعل ما تريده. فتقول «**عمي.. أعطي زينب فرصة لفعل ما تشاء.. على الأقل كتعويض لجزء مما حرمت منه كل هذه السنين..[5]**» لكنه يبقى في رفضه لأنه خائف على صحتها، وحينما يخرج الطبيبة من غرفتها يؤكد بأنها لا تزال رافضة للعلاج، ولا يستطيعون منعها من الخروج.

[1] أميرة عباد وداعا قد لا نلتقي، ص147.

[2] المصدر نفسه، ص147.

[3] المصدر نفسه، ص148.

[4] المصدر نفسه، ص150.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لتواصل زينب السرد، بعدها تتقول «**حاول أبي إقناعي بضرورة البقاء في المستشفى، إلا أنني كنت قد حسمت أمري بالمغادرة ولن أضيع وقتا أكثر واليوم مساء، سأغادره**[1]» وكما كان الحال غادرت المستشفى وذهبت إلى منزل والدها لتبقى عنده ليلة وتسافر معه إلى الجزائر، فكانت هذه أطول ليلة قد عاشتها فهي كانت تفكر في آدم وأين تجده كذلك أحست بتأنيب الضمير اتجاه صديقتها إحسان لأنها تعلم عن حياتها كل صغيرة وكبيرة عكسها هي الغموض مسيطر على حياتها، ليظهر الصباح وقبل سفرها ذهبت إليها وطلبت منها السماح وفي ذلك «**طلب منها والد زينب أن تعمل في شركاته وفرحت هي بالخبر، وهذا جعل زينب تنقص من احساسها بتأنيب الضمير اتجاه صديقتها، وقبل ذهابها توصيها على أمجد وأن لا تخبره عن تدهور صحتها**[2]»، وفي طريقها إلى المطار تخبره هي بأمرة سفرها.

بعد ساعات قليلة من سفرها تصل زينب إل الجزائر وبالتحديد إلى مطار 08 ماي 1945 في ولاية سطيف، حاولت زينب في تلك اللحظة أن لا تتذكر أي شيء يخصها مع والدتها، بعدها تطلب من والدها الذهاب إلى منزلهم، رغم حزنها إلا أنها لم تظهر ذلك فهي في ذلك المنزل فقدت أغلى ما تملكه في حياتها، مسافة طريق ووصلوا وهذه أول مرة تدخل زينب المنزل مع والدها، بقيت تحاول عدم التذكر إلا أن والدها أجبرها على ذلك حينما رأته قد أخذ إطار فيه صورة تجمعهم مع بعض ويبكي لتقول هي «**أتتذكر هذه الصورة.. بل وكل الصور.. أمي لم تتخلص من أي شيء.. كانت حتى أخر لحظة تنتظر عودتنا**[3]» ليزيد ذلك من بكائه وندمه إلا أنها بقيت تذكره بألم والدتها

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص151.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص152.

[3] المصدر نفسه، ص 153.

وكيف عاشت حياتها بألم وحزن وأنها حفظت كل ذكرة تجمعها معه فقال «**لقد.. لقد كنت أعلم أنك جنتي التي سأبكي لفراقها عمرا..**[1]» وهذا الندم كان بعد وفاة الأوان.

كلف والدها شركة مختصر لتنظيف المنزل، أما هي فذهبت إلى منزل سيد علي تستفسر عن آدم فتقول «**ودعته وخرجت من المنزل مستعملة سيارة أمي في الذهاب إلى الخالة "فازية" والدة سيد علي لم يكن الوصول إليها صعبا فقد كانت تعيش في إحدى ضواحي المدينة..**[2]» حينما قابلتها سردت لها ما جرى مع آدم وزوجته مها وكيف تم إجادها محروقة في منزلها فقالت «**لقد كان يعيش مع زوجته مها في الحي نفسها الذي كنت أعيش فيه قبل انتقالي لإقامتي هنا.. مها أيضا محامية مثلك تماما.. كانت في عمر الزهور حينما أقدم آدم على قتلها في منزلها، ثم أضرم النار في جميع أرجائه..**[3]»، لتسألها زينب كيف حصلت هي على المذكرات لتخبرها أنه بعد أيام من وفاة مها أتى آدم لمنزلها وأعطاها إيّاها وطلب منها ان تضع في مكان آمن حتى يوم عودته.

لم تطل زينب كثيرا الزيارة بسبب سوء حالتها الصحية وعادت للمنزل وحينما لم تجد والدها توضأت وبدأت في الصلاة في غرفة والدتها، وأثناء ذلك كان والدها قدامي وصل ولم تنتبه له في الأول، لكن حينما استدارت رأته منشغل البال فسألته «**أبي.. في ماذا تفكر**[4]»، ليجيب بعدما مسح

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص 155.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ينظر، المصدر نفسه، ص156_157.

[4] المصدر نفسه، ص159.

دموعه «**زينب.. أنا لم أسجد لله سجدة واحدة منذ سنوات..**[1]» فأخبرته أن الله تعالى يتقبل توبة كل انسان ومنذ ذلك اليوم أصبح والدها يتقرب إلى الله في كل صلاة وبكل عمل صالح.

أخبرت زينب ما حدث معها في منزل سيد علي وما أخبرته إيّاها والدته عن آدم وزوجته متجاهلة في ذلك ازدياد النوبات، بعدها تقرر الذهاب إلى السجن ومطالبة والدها بالذهاب معها كي يسهل عليها أمر لقائه فتقول «**حين وصلنا.. كانت ركبتاي ترتجفان بشدة وبالكاد تحملانني**[2]»، ولحسن حظها أن والدها نجح في اقناع مدير السجن في السماح بمقابلة آدم خصوصا أنه لم يكن يوم زيارة.

أحضر الشرطي آدم وبدأت زينب التحدث معه محاولة استنطاقه من سكوته لكن لم يتلفظ بكلمة إلى أن أظهرت مذكراته التي كتبها فقال «**لا أريد للتاريخ أن يعيد نفسه.. ويسخر مني ثانية.. عودي من حيث أتيت.. رجاء لا تقحمي نفسك في حياتي..**[3]» وبكلامه ذلك ينهي الزيارة ويغادر، بعدها تعود زينب إلى المنزل وبالها كله كيف تقنع آدم بأن تصبح محاميته.

في الصباح استيقظت زينب وهي تتألم من قفصها الصدري الذي يزداد ألم يوما بعد يوم وهي على تلك الحال تتصل بها إحسان تستفسر عن حالتها وتخبرها أن أمجد قد عاد مثلما كان وتحسنت حالتهما، لتخبرها زينب كيف كان لقائها مع آدم وأنها تنتظر يوم غد كي تذهب إلى زيارته متمنية قبوله ان تتوكل قضيته.

أتى الصباح وذهبت زينب إلى السجن وهذه المرة وحدها وهي كل أمل بمقابلة آدم مرة ثانية فتقول حينما وصلت «**مرت الدقائق تلو الدقائق وأنا أنتظر قدوم آدم دون نتيجة تذكر.. وبدأ**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص160.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص162.

اليأس يدب فيّ[1]» ففقدانها الأمل لم يدم طويلا حيث سمعت اصوات اقدام اتية نحوها وكانت للشرطي ومعه آدم وتحدثت معه مجبرة إياه بأن يوافق أن يكون موكلها وأنها تستطيع اظهار أنه برئ ليسألها آدم ويقول «**ومن تظنين نفسك.. ولماذا يهمك أمري لهذه الدرجة..؟ وكيف وقعت مذكراتي بين يديك..؟[2]»** أخبرته هي كيف وصلت ليدها تلك المذكرات وكيف أثرت فيها وبقية التحدث إلى أن أحست أنه وافق على ذلك، ولسوء حظها حينما حاول آدم التحدث أصابتها نوبة سعال إلى أن أغمي عليها وحينما استيقظت عادت إلى منزلها وعلامات الحزن بادية على وجهها فبسبب تلك النوبة لم تستطع سماع آدم وماذا أراد أن يقول.

في المساء وأثناء تناولها العشاء مع والدها حينها عادت لها نوبة السعال ومرة ثانية «**كان والدي يصلي عندما اجتاحتني نوبة أخرى، حاولت إيقاف السعال في شربي كأس من الماء إلا أن حالتي ازدادت سوءا ولم أستطع المقاومة أكثر[3]»** وهذه المرة كانت هذه أقوى نوبة حيث بها بقيت أربعة أيام في الغيبوبة حسب ما قالته لها عمتها حينما سألتها كم بقيت هنا وتجيب عمتها وتقول أنها هنا منذ أربعة أيام «**... اتصل بي توفيق وأخبرني بمرضك المفاجئ ولأنه لا يستطيع البقاء معك في الليل فقد أوكل هذا لي.. على كل سأخبره بأنك قد استيقظت أخيراً.. والطبيب أيضا.. سأعود..[4]».**

حينما أتى والدها أخبرها بخبرين أولهما كان سيء فقد أخبره أن مرضها قد زاد وبضرورة بقائها في المشفى والثاني أن آدم وافق على طلبها وهذا الخبر أدى إلى طلبيها الخروج من المشفى كي تقابله، رغم عدم تقبل والدها للفكرة إلا أنه لم يعارض حينما رأى فرحتها. بعد يومين ذهبت

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص164.

[2] المصدر نفسه، ص165.

[3] المصدر نفسه، ص168.

[4] المصدر نفسه، ص 169_170.

لزيارة آدم وطلبت منه أن يحكي كل شيء كيف تعرف على مها إلى أن وصل إلى هذه الحالة، فأخبرها عن حالته بعد وفاة جدته وكيف كان لا يملك لقمة يأكلها كذلك دخوله للسجن للمرة الأولى هي حينما ساعد مها ولم يكن يعلم عنها شيء في ذلك الحين وقال «**بعد شهر من حبسي فوجئت بمها تزوروني في السجن وتعدني بأنها ستساعدني على الخروج لأن والدها من أكبر المحامين بالبلاد..**[1]» بعدها خرج من السجن وأصبح صديقين مقربين إلى أن وصل بهم الحال وتزوج بعد وفاة عائلة مها ثم تطرق إلى ذلك اليوم السيء وكيف حكم عليه بأنه قاتل مها رغم عدم وجود دليل سوى أنهم رأوا سجله القديم بأنه مدمن مخدرات.

أنهت زينب مقابلتها مع آدم وفي طريق العودة علمت أن إحسان قادمة غدا حينما اتصلت بها وفرحت بذلك فهي كانت تحتاجها كثيرا بعد تأزم حيلتها أكثر من مرة، وفي الصابح ذهبت زينب رفقت والدها إلى المطار باستقبال إحسان وكان لقاءهما حميميا مثل كل مرة لا وبعد ما يا يصلوا إلى المنزل، تذهب إحسان وزينب إلى مكان عمل مها ولتقابلا هناك ياسمين إلا أنهما قد وجدا محامية أخرى مكانها، فياسمين قد انتقلت من المكتب منذ وفاة مها، بقيا يبحثان عن عنوانها إلى أن وجدوه وذهبتا إليه.

قابلت زينب وإحسان ياسمين وسألوها عن كيف كانت علاقتها مع مها وهل لاحظت أي تغيير لها، في الأول تقول لا لكن تتذكر اتصالات كثيرة كانت تصلها أيام قبل وفاتها، لتستنتج زينب أن علاقة ياسمين كانت علاقة عمل فقد ولم تكن تخبرها أي شيء عن حياتها مثلما فعلت هي مع إحسان تشكرتها وعادت إلى المنزل.

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص174.

تخبر إحسان أن علاقتها مع أمجد تحسنت وكيف كان حفلة وعن علاقتهما بالتفصيل فنصيحة زينب لها في ذلك اليوم كانت السبب في فرحتها، ويأتي الصباح وتتوجه كلا من إحسان وزينب إلى السجن لتستفسر منه بعض التفاصيل التي أخبرتها بهم ياسمين فتقول «**آدم أنا آسفة لأنني في كل مرة وقلبه مواجعك بأسئلتي..**

فقال:

_لا بأس.. توقعت ذلك منذ موافقتي على طلبك[1]».

تلاحظ زينب بأنه لم يكن له دراية حول تلك الاتصالات الغريبة فيقول على ذكر الهاتف الشرطة لم تجده أثناء البحث عنه ورجحوا أن يكون قد احترق تماما فلم يبقى منه شيء، تستنتج زينب أن قاتل مها هو ذلك الشخص الذي كان يتصل بها لكن لم تخبر آدم عن أي شيئين، ثم تقوم وتودعه على أمل لقاء جديد لتنطلق هي وإحسان إلى منزل آدم وتباشر البحث عن دليل ما وأثناء البحث وجدت زينب كتاب زعزعة خاطرها وشتت تفكيرها حينما فتحت وقرأته «**إن أعمق وجود بالنسبة لك يقبع في كل انقباض والتوسع مهما كان صغيرين وكلاهما متوازن ومنسق على نحو جميل.. مثل جناحي طائر..[2]».**

بقيتا تبحثان طويلا إلى أن دب اليأس في نفسه ما لكن في لحظة وجدت إحسان شيء «**.. لقد كانت شريحة هاتف مها.. سليمة تماما من الاحتراق[3]**» وهذا كان دليل الذي كانت زينب تبحث عنه بعدها ذهبت إلى شركة الاتصالات لكن دون فائدة لأنها لم تستطع أن تعلم أي شيء فقط لمن تعود وهنا كانت صدمة زينب وإحسان ففي الأول ظنت انه لي مها لكن ظهرت لي

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص179.

[2] المصدر نفسه، ص180.

[3] المصدر نفسه، ص181.

شخص آخر يدعى "هشام نصيف"، لتعودا إلى المنزل وفرحتهما كبيرة بأنهما قد استطاعتا إظهار براءة آدم.

لم تنما الليل منتظرين الصبح كي تذهبا إلى المحكمة ورافقهما العم توفيق تحسبا أن يحتاج إليه وحينما وصلوا ذهبت زينب كي تطلب الإذن كي تحصل على مكالمات تلك الشريحة وقبل أن تقول اسم الشخص للمسؤول تذكرت من هو فقد كان المدعي العام وتأكدت بأنه هو القاتل فقالت «**سيدي هل.. هل السيد هشام نصيف موجود..، فقال:**

لا أدري.. من المفترض أن يكون الآن في مكتبه.. اسألي مكتبة التوجيه[1]»، ثم بادر في ذهنها ما سبب عملته وما علاقته بها، حيث أنه قد صعب عليه الآن كشف تلك الاتصالات، إلا أنهت دخل والدها بي استعماله نفوذه حينما ذهب مرة أخرى إلى شركة الاتصالات، في وأثناء انتظاره ما بدأت نوبة سعال زينب مرة أخرى وهذه المرة كانت أقوى لدرجة أنها لم تستطع التنفس حتى بدأ يغمى عليها وآخر ما سمعته حينما قال والدها «**تماسكي يا زينب.. كشف المحادثات بين يدي الآن.. أنها دليل قاطع على براءة آدم..**[2]».

أفاقت زينب وهي مرتعبة ظنا منها أنها غابت عن جلستها إلا أن والدها طمنها وأخبرها أن إحسان بدأت بالإجراءات اللازمة وهذا جعلها ترتاح قليلا فهي تعلم أن صديقتها محامية جيدة، وفي الصباح ذهبوا إلى المحكمة وهذه كانت أول محاكمة لها «**لم تقوى رجلاي على حملي.. كنت متوترة وخائفة جدا فهذه أول مرافعة تقوم بها في حياتي ولن تكون كأي مرافعة..**[3]» دخلوا إلى

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص183.

[2] المصد نفسه، ص185.

[3] المصدر نفسه، ص186.

القاعة وبدأت المحاكمة حينما «**دخل القاضي ومرافقوه والسيد نصيف مدعيا عاما ومتهما في الوقت نفسه، ثم دخل آدم مكبل لليدين ينظر إليّ بمنتهى الثقة والحماس.**[1]».

كانت الأدلة التي جمعتها إحسان وزينب كيف يا لإظهار براءة آدم والتي جعلت هشام نصيف «**يعترف بلسانه أن هو القاتل وعن سبب ذلك أخبرهم بأنهما كان يدرسان معا في نفس الكلية، وأنه حينما سافر أخذ منها عهدا أن تنتظره إلى أن يعود ويتزوج بها وأنه قد عاش في ذلك الأمل أربع سنوات كاملة لكن حينما عاد وجدها قد تزوجت وأنه لم يتمالك نفسه، وفي يوم انتظر خروج زوجها من المنزل والذهاب إليها، وأثناء جدالهما دفعها بقوة وسقطت على رأسها وأنه لم يكن أن ينوي قتلها وأنا وحينما لم يجد هاتفه أجبر أن يحرق المنزل كي لا يعرف أنه هو القاتل**[2]»، بعدما سمع آدم اعترافه بدأ بالصراخ والبكاء على ما حدث لزوجته ورفيقة دربه، وأخيرا تم النطق بالحكم وظهرت براءة آدم من الجريمة وفي تلك اللحظة ازدادت حالة زينب صعوبة وفقدت وعيها.

تنوب إحسان سرد ما بقي من الأحداث فتقول «**نقلنا زينب المغمى عليها إلى المستشفى فأدخلت مباشرة إلى غرفة العمليات لإجراء عملية جراحية سريعة على مستوى الرئة اليسرى علها تنتعش..**[3]» والتي دامت أربع ساعات وبقاء زينب يومين في الغيبوبة إلى أن أفاقت وطلبت من إحسان رؤية أبيها إذ قالت له «**والدي.. سامحني أرجوك.. احتاج عفوك عني ورضاك علي..**[4]»، تأثرت إحسان من ذلك المظهر وبدأت في البكاء لتبقى زينب مدتها ثلاثة أيام في المشفى وفي ذلك الوقت اتصلت إحسان بأمجد وطلبت منه الحضور في أسرع وقت ممكن وحينما وصل بقي معها

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص186.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص186_187.

[3] المصدر نفسه، ص189.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

قد يمسك بيدها ويتأمل وجهها الشاحب الذي لا يرى منه إلا عيناها فقد كان الأوكسجين يغطي أنفها وفمها..، وحينما استيقظت زينب تحدثت مع أمجد وأثناء ذلك يندهشون بدخول آدم إلى الغرفة وتشكره لزينب على ما فعلته من أجله وأجابته بأنه «**أنت أولى بالشكر يا آدم..، وواصلت: أنشر مذكرات رجاءً.. أرفقها بما كتبته أنا**[1]».

كان التنفس صعب عليها حاولت إحسان اسكاتها لكن لم تستطع حيث زينب واصلت التحدث وآخر ما قالته قبل أن تصعد الروح إلى بارئها أمي لقد وفيت بوعدي لم أجعل وجودي عدما، كان موت زينب أصعب على إحسان وأمجد والدها وقالت إحسان في ذلك «**رحلت زينب.. صاحبة الدمع الخجول.. كم كانت تصف نفسها. رحلات رفيقتي وصديقتي وأعز من عرفت في هذا العالم.. وأختي التي لم تلدها أمي..**[2]».

في الأخير قامت إحسان بنشر مذكرات آدم والتي أضافت فيها زينب بعض الصفحات فيها إذ كان آخر ما كتبته وهو «**اليوم صرت وتلك الفتاة التي تحب.. أن تغيب كما تشاء.. أن تنسى، وأن لا تشتاق.. لكن يشتاق إليها.. أريد ببساطة أن أظل هكذا.. لا مقيدة.. ولا مؤصدة الشعور.. وليس لأحد الحق في التحكم في نشرتي المزاجية..!**

على الأقل هذا في نظري البعيد جميل... جميل جدا.. وحتى الآن لم أستطع أن أتجاوز ذلك الحنين الجارف الذي يغتال نبضي كل ليلة.. إنه.. إنه شوقي للسماء!![3]»

أفاد التناوب في الأحداث الأخيرة من الرواية في مجرى حياة زينب بتغير حالتها وخروجها من قوقعة حزنها، بعد قراءتها لمذكرات آدم كذلك تحسن علاقتها مع والدها، وانتهاء شقائها في

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص190.

[2] المصدر نفسه، ص191.

[3] المصدر نفسه، 192_193.

الحياة الذي كان معها منذ طفولتها، وهذا التناوب الذي حدث بينها وبين إحسان يظهر بأنه في الحياة لا بد للشخص أن يجد شيئا آخر يخبر عنه أحاسيسه، ففي الرواية قد وجدنا أن إحسان تنوب في سرد بعض أحاسيس زينب، حيث أن كتمان زينب لما عاشته أدى إلى مرضها ووفاتها.

2- المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان:

أ_ التناوب السردي وعلاقته بالمكان:

في الجزء الثاني من الرواية تتغير الأحداث بتغير الأماكن فنجد:

_منزل الأم: يتغير تصنيفنا للمنزل بعدما كان مفتوحا بالنسبة للبطلة فيعاد تصنيفه إلى مكان مغلق بعد وفاة الخالة وفاطمة حيث أصبح مكانا أحزاني وتذكر الذكريات السيئة التي كانت منذ الصغر ولا تزال حتى الآن تقرر زينب البقاء فيه وعدم المغادرة أبدا وتقول «**لم تكن لدي أي نية في مغادرة منزل والدتي والذهاب مع أمجد وإحسان لفرنسا ورفضت كل محاولة إقناعي رفضا قاطعا..**[1]» فهي أغلقت على نفسها داخل جدرانه إلى أن قررت الخروج منه بعد تذكرها لكلام والدتها المقبرة مكان مغلق فيه تم دفن الخالة وفاطمة كذلك تم دفن روح زينب معها فهي بقي جسد بدون روح بعد وفاة والدتها فقد كانت السند لها.

_منزل إحسان: تبدأ حالة زينب عندما تقيم لبضعة أيام فيه بالتغير والتحسن بقي كما صنفناه لأول مرة من الأماكن المفتوحة فهو يخفف إحساسها باليتم وهذا ما صرحت به «**قائلة قضيت أيام الأولى معهم وتحسن مزاجي ونفسيتي أكثر بكثير فلطالما أشعروني أنني أنتمي إليهم..**[2]».

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص63.

_منزل زينب: يبقى منزل زينب هو المكان المفتوح الذي تجد فيه ذاتها الحقيقية وتختفي كل الأقنعة التي تضعها حيث تعود له مرة ثانية وهذه المرة يتيمة بالحق تبقى لوحدها فيه وتقرر الانتحار بسبب كسرات التفكير والذكريات إلا في يوم بعد زيارة طبيب نفسي تقرر فعل شيء جديد لم تكن تفعله من قبل «**من يذكر ذلك الركن من الغرفة لأستعمله للصلاة والتأمل والقراءة وذات مرة للبكاء قررت أن أضيف إليه مهمة خامسة هم الكتابة**[1]» لكن لم تستطع فعل ذلك لأنها حينما حاولت تذكر طفولتها مع والدتها ووالدها كم كانت سيئة فعمدت إلى الهروب وأغلقت على نفسها في منزلها «**لم أقوى على تناول أي شيء كان شبح الذكر لا يزال مسيطرا علي أغلقت هاتف المحمول وفصلت هاتف المنزل وأغلقت النوافذ لا أريد أن أرى شيئا ولا سماع شيء ولا أريد مقابلة أحد حتى إحسان وأمجد فقط لا أريد فعل شيء أريد الجلوس وحدي فقط أريد قصة من العزلة والوحدة تماما كما أوصتني أمي**[2]» بعدها تتغير الأحداث في المنزل حينما قرأت زينب أحد مذكرات من تلك التي أحضرها أمجد وبثت فيها شيء من التفاؤل وإرجاع جزء صغير من حلمها في الحياة.

_منزل أمجد: موجود في باريس قرب منزل زينب فيه تتحول معاملة أمجد وإحياء كرهه للمغاربة بعد تذكره لصديقي سيد علي وما حدث معهم بسبب السياسة.

_منزل الأب: موجود في أكبر وأغنى مدن فرنسا عاشت فيه زينب حتى كبرت ووصلت لعمر الثامنة عشر يصنف من الأماكن المغلقة بالنسبة لها رغم توفريه على كل الإمكانيات ومحاولة الأب في إسعاد زينب بعدما ظن أنه حولها بعدما ظن أنه حول تفكيرها إلى تفكير شباب إلا أنه كان منزلا فارغا من الحنان والحب فهو منزل أحزان والوحدة لها «**أما حياتي في منزل والدي فقد**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص80.

كانت عدما تماما كالذي تحدثت عنه أمي قبل وفاتها لا أحد أستطيع التحدث إليه ولا وجود لمن ألجأ إليه..[1]» وفيه يقوى حقد زينب وقرهها لوالدها بعد ذهابها إليه لإخباره عن وفاة والدتها لكنه لم يأبه لذلك وكأنه لم يسمع ما قالت.

_المشفى: يتغير مكان المشفى أولا ويكون في فرنسا بعدما كان في الجزائر في الأول كذلك يتغير وتصنفه من مكان مغلق إلى مكان مفتوح وبعد دخول زينب إليه بعد حادث تصالحها ووالدها وتتحسن العلاقة بينهما بعد مطالبته لها بسماء «**أنا أسف جدا.. لكل ما فعلته بكي الأقدار السيئة وأعانتها عليه وعلى المسئولية الكبيرة التي ألقيتها على عاتقتك.. على كل شيء.. زينب لم أكن في وعي حين فعلت ما فعلت بكي وبفاطمة وأنا نادم أشد الندم على ذلك..**[2]» وتعود بعد ذلك تلك الضحكة التي كانت تفتقدها بعد وفاة أمها حينما أحست بتغير والدها للأحسن وتبقى أغلب الأحداث تتم فيه من قراءة زينب للمذكرات وإنهائها، كذلك علم والدها بمرضها ومحاولة إقناعها بالبقاء لكن دون جدوى يتغير مكان المشفى ليعود إلى الجزائر وفيه تدخل زينب عدة مرات بسبب نومها سعال الحد حتى يوم وفاتها فيه بعد أن حققت مرادها وإخراج آدم من السجن.

_السجن: يعد من الأماكن المنغلقة فهو مكان العقوبات الدنيوية ففي الرواية كان له دور في لقاء زينب مع آدم ومحاولة إقناعه بتوليها القضية وتبيان براءته ومساعدته في التخلص من الأحزان التي تفارقه وفي الآخر تنجح في ذلك.

عمد التناوب في هذه الأماكن إظهار التحول الذي وقع في حياة زينب بعد وفاة أمها كذلك تغير رؤيتها للأماكن من مكان يبعث في داخلها شعورا بالأمان والآمال إلى مكان مليء بالأحزان

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص82.

[2] المصدر نفسه، ص116.

والذكريات السيئة وهذه التقنية التي عملت إليها الرواية أظهرت كيف تتغير طبيعة الأماكن وتتحول مع تغير الأحداث ونظرة الشخصيات وأحاسيسها اتجاهها.

ب_ التناوب السردي وعلاقته بالزمن:

تنطلق الأحداث في زمن الآنية أنا حينما ما بدأت إحسان بالسرد بعلمها بوفاة والدة زينب «**علمت من أمجد ان والدته قد اتصلت به تخبره ان الخالة فاطمة والدة صديقتي زينب قد توفيت، كان الخبر صادما جدا.. زينب متعلقة بوالدتها كثيرا**[1]». وسفرها للجزائر لمواساة صديقتها «**وصلنا إلى الجزائر أخيرا.. كانت المرة الأولى التي أزورها..**[2]» وبعدها تسرد لنا كيف وجدت حالة زينب التي أصبحت جسدا بدون روح «**فتحت الباب ودخلت فوجدت صديقة عمري ورفيقة روحي في حال يرثى لها، كان منظرها صاعقه بالنسبة لي. وكانت تجلس محتبية فوق سريرها تتفرج على ألبوم صور عائلي موضوع أمامها وبعض الصور متنافرة حوله لم ترفع الي رأسها ولو بنظرة**»[3].

لتنوب زينب بعدها في سرد أحاسيسها الآن بعد وفاة والدتها بحث ترى الحياة صعبة فهي الان هي حبيسة الذكريات والأحزان «**أنا لست قاسية القلب ولا فاقدة الاحساس.. أنا.. أنا ببساطة لا أملك دموعا.. وهل هناك أفقر من فتاة لا تملك دموعا تنفس بها عما غزا نفسها وروحها من أسى وعذاب.. وارحمتاك يا رب..**[4]» وتضيف في ذلك «**إنها تعتقد أنني لا أحب أمي ولا أكترث بوفاتها.. إنها لا تفهم ما أمر به الآن.. منذ وفاة أمي لم تمر عليّ ولو ساعة من الزمن دون**

[1] أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، ص44.

[2] المصدر نفسه، ص45.

[3] المصدر نفسه، ص46.

[4] المصدر نفسه، ص49.

التفكير بها.. أعلم جيدا أن الأمر غريب بالنسبة لها.. لكن ما عساي أفعل؟؟ أنا مصدومة فعلا يا إحسان، كنت فيما مضى أستطيع ظرف دمعات حارقة.. قليل فقط كان كفيلا براحتي..[1]».

ليعود السرد إلى إحسان وتقوم بتسريع الأحداث التي كانت فيها زينب متعبة «**كانت حالة زينب النفسية تتدهور يوما بعد يوم خاصه بعدما سمعته من صديقة والدتها هذا الصباح..[2]**» كذلك يضيف أمجد عن قول إحسان «**دعيها على الأقل ستستريح ولو قليلا إنها لا تستطيع البكاء فلندعها تعبر عن مشاعرها كيفما شاءت كما وأنها لا تحب أن يشعر أحد بالشفقة عليها..[3]».**

لتسترجع زينب بعدها سبب أنها أصبحت محامية «**والدك أنت هو من شجعك على المضي قدام النحو تحقيق حلمك.. لكن، لكن والدي أنا.. والدي هو من دفعني دفعا لأصير محامية دون أدنى قصد منه.. جراء معاملته السيئة لأمي.. وكيف أنه رفض أمر طلاقها منه.. عندها فقط قررت أن اكون محامية فأرد لأمي حقها وان كنت لا أستطيع تغيير الماضي[4]».**

بعد ذلك تقوم بتسريع في الزمن حول اكمالها لتلك الأيام بعد ذهاب أمجد وإحسان «**أما عمتي فقد بقيت معي لأيام أخرى تراقب حالتي النفسية ولما رأتني أتحسن قليلا، طلبت منها الاستراحة في منزلها فقد تغيبت عنه بما فيه الكفاية[5]»**، كذلك في التسريع بقولها «**كانت إحسان وأمجد يتصلان بي يوميا وأحيانا تتصل إحسان أكثر من مرة في اليوم للاطمئنان علي..[6]».**

---

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص52.

[3] المصدر نفسه، ص54.

[4] المصدر نفسه، ص58.

[5] المصدر نفسه، ص60.

[6] المصدر نفسه، ص61.

لتسترجع ذات يوم وصية أمها وتقرر السفر فجأة «**لا أدري ما الذي دفعني إلى جمع أغراضي كلها والتوجه نحو المطار..**[1]»، يلي تسريع آخر أيضا بعد سفرها من الجزائر وعودتها لفرنسا وبقائها في منزل إحسان اذ تقول «**قضيت أيام الأولى معهم وتحسن مزاجي ونفسيتي أكثر بكثير، فلطالما أشعروني انني أنتمي إليهم..**[2]».

بعدها تعود بذاكرتها مرة أخرى بعد مكالمة والدها وتذكرها للحالة التي كانت عليها بعد التخرج من فراغ رهيب وكذلك وفاة والدتها، لتخرج من دوامة الذاكرة حينما سألت «**إحسان، ما هو برأيك الفرق بين المجرم والضحية؟**[3]»، وبدئهما في حوار كل واحدة تعطي رأيها حول الموضوع وخلال الحوار تسترجع زينب ذاكرتها في الصغر «**حتى نيتشه انتحر.. وارنست همنغواي.. تخيلي.. كنت أحسبه_ لسذاجتي_ في الصغر امرأة حين قرأت روايته "العجوز والبحر"**[4]».

تواصل إحسان السرد في الآنية بعد رؤيتها لحالة زينب وتخوفها منها إذ تقول «**حيرني امرها حقا وزاد من مخاوفي عليها فصرت اتردد إليها أكثر من ذي قبل وانام معها احيانا ورغم ذلك الا انها لم تتحسن بل تدهورت حالتها النفسية تماما كما كانت عليه في الجزائر لم اقل اسوء..**[5]»

لتنوب زينب مرة أخرى بتسريعها للأحداث حول «**الحالة التي كانت عليها في تلك الفترة حتى يوم اتصال الإحسان لتخبرها بانها حجزت لها عند الطبيب كي تذهب لزيارته لربما تتحسن حالتها، لم تقبل زينب في الأول إلا أن إحسان أصرت عليها حتى وافقت وذهبت معها، بعدها**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص62.

[2] المصدر نفسه، ص63.

[3] المصدر نفسه، ص64.

[4] المصدر نفسه، ص66.

[5] المصدر نفسه، ص 67.

تذهب زينب إلى منزل أمجد وهناك حينما تطلب إحسان من أمجد العزف على البيانو ثم رفضه وحزنها منه وتقول هل كل الجزائريين عصبيون هكذا لتقوم زينب بتذكر حادثة تاريخية وهي قصة الداي حسين مع القنصل الفرنسي الذي استفز الداي حسين وهذا الأخير قام بضربه بالمروحية وهذا ما اتخذته فرنسا حجة في استعمارنا[1]».

لتواصل في الاسترجاع حينما رأت أمجد قادم واحساسها بأنه تذكر صديقه سيدي علي لتبدأ هي بسرد تلك الحادثة «**كان يدرسان مع بعض في المعهد الموسيقي... وحدث ذات مرة ان أعلن المعهد عن اقتراب تصفيات مسابقة مؤهله للمشاركة في حفل كبير يقام في كبرى العروض الإيطالية[2]**» فقرر كلا من سيدي علي وأمجد المشاركة إلا أن حادثة أضاعت كل شيء وذلك بسبب بعض من الشباب المغاربة إذ قاموا بتعذيبهم أشد عذاب وهذا في قولها «**أفراد تلك العصابة لم يقتلوا عليلو كما يناديه أمجد بل دفعوه لقتل نفسه لقد عرفوا أضعف نقطه فيه.. إنه البيانو[3]**» لتستجمع نفسها من تلك الذكريات وتودعه وتعود لمنزلها، وقبل أن تبدأ العمل بمقاله الطبيب تقوم بالتذكير عن المكان الذي ستبدأ فيه بالكتابة «**من يتذكر ذلك الركن من الغرفة... قررت أن أضيف إليه مهمة خامسة.. هم الكاتبة[4]**» وحينما حاولت لم تساعدها هذه الطريقة بل زاد الطينة لأنها حينما بدأت في محاولة الكتابة بدأت تتذكر أحداث صارت وهي صغيرة «**استولت ذاكرتي على جميع حواسي بما فيها يدي.. نعم يدي.. اليد نفسها التي كانت قبل سنوات مضت تخطط الرسائل[5]**» لتبقى تتذكر كيف كان والدها يعاملها هي وأمها، كذلك تذكرها كيف حاولت والدتها

[1] ينضر، أميرة عباد، وداعا قد لا نلتق، ص67_68_69.

[2] المصدر نفسه، ص69.

[3] المصدر نفسه، ص70.

[4] المصدر نفسه، ص71.

[5] المصدر نفسه، ص71_72.

الطلاق منه وهذه الذكريات أزمت من حالتها ودعمت اكتئابها، تسترجع نفسها من تلك الذكريات وتذهب إلى النوم كي تنسى ذلك الألم، لكن حينما تستيقظ تعود تلك الذكريات مرة أخرى وهنا تذكرت كيف عانت والدتها بعدها خلعها لزوجها وكيف أنه أخذها منها «**أخذني والدي.. ولم يشفع لي عنده لا بكاء ولا صراخي لفراق أمي**[1]» وتبقى تتذكر كل الأحداث التي مرت بها في تلك الأيام. لتنقطع من شريط ذكرياتها يوما ذهاب إحسان إليها ومعاتبتها لها على الحالة التي هي فيها «**لن أتحرك من هنا أبدا.. لن أتركك هكذا.. ستقتلين نفسك إذا استمريت في عنادك..**[2]».

وتتابع بعدها إحسان الحكي عن حالة زينب التي توصلت إليها «**كانت حالة زينب غير مستقرة أبدا..**[3]»، فقد تدهورت صحتها حينما غفلت عليها إحسان بضعة أيام، ظنا منها أن صديقتها قد تحسنت.

لتعاقب زينب السرد في الآنية فتقول «**لا أستطيع أن أصف ما أشعر به من تأنيب الضمير كم أنا أنانية...فلتسامحيني يا إحسان.. سأرد لك جميل صنعك وتحملك لأخطائي... كل ذلك سأرده بإذن الله..**[4]»، لتضيف «**ما حدث حينما أحضر لها أمجد ووجدت إحدى مذكرات شخص ظنت في الأول أنها لصديقه لكن بعد ذلك تأكدت أنها لشخص آخر بعد أن تصفحت بعض الصفحات منه، وتلك المذكرة جعلتها تسترجع الأحداث التي وقعت مع تلك الشخصيات مها وآدم**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص82.

[2] المصدر نفسه، ص84.

[3] المصدر نفسه، ص85.

[4] المصدر نفسه، ص67.

وتربطها بواقعها مع والدها. إذ تقول أنها ستساعد والدها في تخطي إدمانه للخمر مثل ما ساعدت مها تخطي آدم للمخدرات[1]».

وحينما ذهبت إليه إلى المنزل عادت بها الذكريات إلى ما عاشته هي وهو في تلك الفترة **«كيف كانت وحيدة رغم توفير والديها بكل احتياجات كذلك تذكرها يوم ارتدائها للحجاب وكيف كانت ردة فعله وأنه حاول تزويجها[2]»**، وفي تلك اللحظة تعود وتتأكد بأن والدها لا يمكن تغييره في الواقع **«كنت أحدق في والدي بدهشة كبيرة وعيناي متسعتان على أخرهما.. غير مصدقة لما قاله..[3]».**

إلى أن يتغير زمن الأحداث بعد صدمتها من والدها وقيامها بحادث أثناء سياقتها لسيارته، حيث فجأة يتغير ويصبح ذلك الأب الذي كانت تتمناه هي منذ الصغر إذ يقول **«سامحيني يا بنتي.. سامحيني على كل ما قلته لكي... سامحيني على كل يوم ما قمت به وكل الذي لم أقم به..[4]»** بعدها يصبح أطيب وأحن أب، لترجع مرة أخرى بعد ما أحضر لها أمجد المذكرات وتكمل قراءة ما حدث معهم **«فآدم قد تحدث عن حالتي حينما سمع بوفاة مها، وتذكره لوصية جدته بألا يراهن على أحد، كذلك سرد حالته بأنه سيعود إلى تلك الزنزانة التي أخرجته منها مها وهذه المرة بتهمة قتلها، وهذا ما لم يستوعبه عقله فكيف له أن يقتل رفيقة دربه[5]».**

[1] ينظر، أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، 88_99.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص101.

[3] المصدر نفسه، ص 103.

[4] المصدر نفسه، ص116.

[5] ينظر، المصدر نفسه، ص119_124.

ليتوقف ذلك الاسترجاع حينما تدخل إحسان لتعود بها لوقتنا الحالي «**إحسان.. ما الذي أتى بك في هذا الوقت**[1]»، فتخبرها أنها أتت تسرد لها حالتها مع أمجد لتقوم زينب بإقناعها إن أمجد يحبها وأن غيابه بسبب ظروف لتذهب في الأخير أحسن وهي مقتنعة. ومرة أخرى تعود زينب لتكمل ما تبقى من حكاية آدم حتى يوم أخذه إلى السجن وآخر ما كتبه «**كوني بخير..**

زوجك المحب آدم 2014/08/03[2]».

لتعود زينب بعد نهاية هذه المذكرات إلى واقعها ويبدأ فضولها حول قصة هذا الإنسان ومحاولة معرفة إن كانت حقيقية، كذلك قرارها السفر إلى الجزائر ومعرفة كلها من إحسان ووالدها مرضها الذي كانت تخفيه.

وتنوب بعدها إحسان السرد فتقول «**كنت قد عدت إلى مكاني بعد ما أشارت إلي زينب ألا أتكلم**[3]» إذا هي سردت فرحة زينب حينما علمت أن قصة آدم حقيقية وأنه في السجن كذلك كيف حاول والدها منعها خوفا عليها إلا أنها أصرت بقوة وغضبت منه، كذلك ردة فعلها أخبرتهم زين بنوع مرضها فتقول «**كنت على وشك الانهيار تماما**[4]» وأثناء ذلك تتذكر وصية والدة وزينب «**تذكرت أنا الخالة فاطمة ووصيتها لزينب**[5]»، والذي كان من فدوى أن لا تجعل حياتها عدما.

لتعود زينب وتسرد في الآنية كيف حاول والدها إقناعها بالبقاء في المستشفى إلا أنها كانت رافضة للأمر مما توجب عليه الخضوع لطلبها، بعدها تقوم بتسريع الزمن في قولها «**ما هي**

---

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص125.

[2] المصدر نفسه، ص135.

[3] المصدر نفسه، ص 145.

[4] المصدر نفسه، ص149.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إلا ساعات قلائل وكنا في مطار 8ماي1945م[1]»، لتواصل بعدها السرد طريقها إلى منزل ووالدتها إلى أن وصلت، وبوصولها تتذكر والدتها كيف كانت تستقبله، وتذكر والدها سوء تعامله مع أمها، لتعود إلى الواقع وتذهب لزيارة والدة سيد علي لتسألها عن قصة آدم، «**لتقوم هيا بتذكر وسرد الأحداث التي وقعت وكيف تم الحكم على آدم بسبب عدم بكاء[2]»**، بعدها تعود زينب إلى منزلها لتخبره بأنها ستذهب إلى السجن رؤية آدم وهذا محل حدث بالفعل و تحاول زينب إقناعه بتوليها القضية إلا أنه في الأول رفض لكن في الأخير اقتنع منها وبكلامها بعد يومين من المحاولة، ليحدث تسريع في الأحداث بعد فقدانها الوعي لمدة أربعة أيام وهذا ما صرحت به عمتها «**بل منذ أربعة أيام[3]»**.

يعود الاسترجاع مرة أخرى بعد خروج زينب من المستشفى ومقابلتها لآدم مرة أخرى «**الذي أخبرها كيف كانت حياته منذ الصغر حتى يوم مقابلته لـ "مها" وتغير حياته معها[4]»**، ليقوم هو أيضا بالتسريع أثناء حكيه في قوله «**بعد أشهر من حبسي فوجئت بمها تزورني في السجن وتعدني بأنها ستساعدني على الخروج لأنه والدها من أكبر المحامين بالبلاد..[5]»** كذلك في قوله «**بعد شهر على وفاتها زجّ بي في السجن[6]»**، فيتواصل السرد في الآنية إلى يوم زيارة زينب لصديقة مها وتحدثها معها وتذكر حادثة وقعت أثناء عملها معها فتقول «**آآ تذكرت.. قبل سفري**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص152.
[2] ينظر المصدر نفسه، ص156_157.
[3] المصدر نفسه، ص 169.
[4] ينظر، المصدر نفسه، ص169_173.
[5] المصدر نفسه، ص174.
[6] المصدر نفسه، ص175.

بيومين أقصد قبل سفري بيومين أقصد قبل وفاة مها رحمها الله ... لاحظت الاتصالات الكثيرة التي كانت تردها في تلك الفترة[1]».

تقابل زينب آدم وتتأكد بأن القاتل شخص آخر وذهابها هي وإحسان للبحث عن الدليل وأثناء ذلك تتذكر كلمة والدتها «**كانت أمي تخبرني دائما أن الأشياء الثمينة توجد في الأماكن التي لا يتوقعها أحد..[2]**» وصدق قول أمها وجدتا الدليل الذي يبرئ آدم إذا كان القاتل هو المدعي عام وأثناء المرافعة أخبرهم بأنه السبب في موتها «**كنا ندرس سويا بالكلية نفسها... أخذت منها وعدا بانتظار حتى أعود.. وحين عدت وجدتها متزوجة بمن.. بخريج سجون ومدمنة مخدرات...ولكنني لم أكن أنوي قتلها أبدا.. صدقوني..[3]**» إذا كان الذي حدث هو عبارة عن حادثة وهكذا أظهرت زينب براءة آدم من قضية قتل زوجته، لتدخل بعدها إلى المستشفى.

ينطلق السرد مرة أخرى مع إحسان فتخبرنا عن دخول زينب إلى المستشفى وتقوم بتسريع الزمن في قولها «**بعد يومين من انتهاء العملية التي دامت أربع ساعات جلست أراقب زينب»[4]، و يا ليه تسريع آخر في قولها« مضت ثلاثة أيام ونحن في المستشفى...[5]»**، بقوا هناك إلى يوم وفاة زينب والتي قبل وفاتها طلبت من إحسان نشر مذكرات آدم ومرفقة ما كتبته هي فتقول «**قمت بما طلبته مني زينب، ونشرت كتابات آدم مرفقة بكتاباتها تحت عنوان: "أصحاب الدمع الخجول"[6]**» فقد كتبت «**أنها أصبحت مهووسة في شيء اسمه الذاكرة، وأن نظرة عائلتها مختلفة عائلتها مختلفة من شخص لآخر، وأنه بعد كل تلك السنوات التي أمضتها في جمع قاموسها**

[1] أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص177.

[2] المصدر نفسه، ص181.

[3] المصدر نفسه، ص 186_187.

[4] المصدر نفسه، ص189.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] المصدر نفسه، ص191.

الشخصي قدمت تعريفات جديدة لعدة مفاهيم منها الحياة.. السعادة.. الألم والحزن.. وحقيقة الموت والفقد، وأنها في ذلك اليوم أصبحت تلك الفتاة المتحررة من أية قيود[1]».

تميز تناوب الزمن في الجزء الثاني من الرواية بتناوب شخصيتين أساسيتين في السرد والذي تميز فيه هو كثرة الاسترجاعات تارة من زينب التي تتذكر طفولتها وحالتها بعد وفاة والدتها، وكذلك استرجاعها للأحداث التي وقعت مع شخصيتي آدم ومها أثناء قراءتها للمذكرات، وتارة أخرى من إحسان التي تتذكر حالة صديقتها الحزينة ولوصية الخالة فاطمة، أما تسريع الأحداث الذي قامتا به كان أولا لتفادي تكرار الأحداث ولترك القارئ يتخيّل الأحداث ويعيشها بكلّ جوارحه.

[1] ينظر، أميرة عباد وداعا قد، وداعا قد لا نلتقي، ص191_192_193.

خاتمة

توصلنا في نهاية البحث إلى مجموعة من النتائج منها:

1. قامت الرواية على أسلوب تعدد الرواة، حيث تناوب كل شخصية على تقديم نظرتهم للأحداث (زينب_ احسان_ أمجد).

2. لتناوب السردي أضفى للرواية جزء من الخصوصية عن غيرها من الروايات بعد تداخله مع العناصر الأخرى.

3. برز التناوب السردي في تعدد الأمكنة وذلك في تغير طبيعتها المعروفة من مكان مفتوح ومكان مغلق، وتعدد أدوارها إذ المكان مرتبط بجميع عناصر السردي فهو مغير ومؤثر لمجريات الأحداث.

4. حاولت الروائية من خلال الشخصيات التي تناولتها التعبير عن حالة اجتماعية حساسة.

5. الدقة في الوصف ساهمت بشكل كبير في نقل أحداث الرواية إلى القارئ الذي تفاعل فعلا مع مجرياتها.

6. أضفت المفارقات الزمنية على التناوب السردي من خلال استرجاع الأحداث الماضية وربطها بالزمن الحاضر في الكشف عن خبايا الأحداث.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1- القرآن الكريم

2- أميرة عباد، وداعا قد لا نلتقي، دار فضاء للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2019.

ثانيا: المعاجم

1- ابراهيم أنيس وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مجلد1، 2004.

2- ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، ط1، تونس، 1986.

3- ابن منظور جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الافريقي، لسان العرب، ج3، دار صادر، ط1، بيروت، 2010.

ثالثا: الكتب العربية

1- ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، سوره الأنبياء، دار ابن حازم، ط1، بيروت، 2000.

2- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 2015.

3- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دار البيضاء.

4- سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1997.

5- شربيط أحمد شربيط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، سوريا، 1998.

6- الطيب بوعزة، ماهية الرواية، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2016.

7- عبد ابراهيم، السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، د. ن، ط1، د. ب.

8- عبد المالك مرتاض، في نظرية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، د.ط، الكويت، 1998.

9- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية عربي انجليزي فرنسي، دار النهار للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2002.

10- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، محمد علي للنشر وآخرون، ط1، تونس وآخرون، 2010.

11- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة سبأ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية للنشر، ط1، السعودية، 2015.

12- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة سبأ، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية للنشر، ط1، السعودية، 2015.

رابعا: الكتب الأجنبية المترجمة

1- برنار فاليت الرواية، تر: عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، ط1، الجزائر، 2008.

2- جيرار جنت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم عبد الجليل الأزدي عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، د.ب، 1997.

3- جيرالد برنس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، ت: محمد بريري، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003.

4- ميخائيل باختين، الكلمة في الرواية، تر: يوسف حلاج، منشورات وزارة الثقافة، ط1، سوريا، 1988.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
اهداء	
مقدمة	**2_1**
مدخل	**12_4**
مفهوم السرد	**4**
مكونات السرد	**6_5**
مفهوم الرواية	**7**
مفهوم الرواية عند الغرب والعرب	**9_8**
مفهوم مصطلح التناوب	**10**
مفهوم الشخصية	**12_11**
الفصل الأول: ملامح التناوب السردي بين شخصيات رواية وداعاً قد لا نلتقي (الجزء الأول)	**30_14**
1- المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات	14
أ- مفهوم الحدث	14
ب- طرق تقديم الحدث	15_14

2–المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان	26
أ– مفهوم المكان	26
ب– مفهوم الزمان	28
الفصل الثاني: تجليات التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات	93_32
1–المبحث الأول: التناوب السردي وعلاقته بالشخصيات	32
2–المبحث الثاني: التناوب السردي وعلاقته بالمكان والزمان	80
أ_ التناوب السردي وعلاقته بالمكان:	81
ب_ التناوب السردي وعلاقته بالزمن:	83
خاتمة	95
قائمة المصادر والمراجع	98_97